

تصنيف وإعداد
سامي عطا حسن

الدار السلفية

فصل المقال

فيما بين العلمانية والماسونية من الاتصال

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

فصل المقال
فيما بين العلمانية والماسونية
من الاتصال

تصنيف واعداد
سامي عطا حسن

الطبعة الاولى
١٩٨٨م - ١٤٠٨هـ

الطبعة الأولى
١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

الناشر
الدار السلفية

حولي - شارع تونس مقابل محافظة حولي
تلفون: ٢٦١٧٤٢٠
ص. ب.: ٢٠٨٥٧ الصفاة - الكويت
الرمز البريدي 13069 الصفاة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

يحاول أبواق الفكر الغريب عن امتنا العربيّة . . من تلاميذ الحضارة الاوروبية بشقيها ـ الرأسمالي والماركسي ـ اعادة ترتيب عقل الانسان العربي المسلم بحيث يفكر منطلقا من مقدمات صليبية أو ماركسية . . ولا حاجة بعد ذلك الى تعميده بالماء المقدس . . مادام قد عُمِّد بالفكر غير المقدس .

ويُصرُّ بعض هؤلاء المثقفين العرّافين ! ! على التنبوء بأن مسار الأمة العربية في خروجها من محاق التخلف الذي فُرض عليها بفعل عوامل كثيرة جداً . . الى شروق جديد على أفق العالم . . لا يكون إلّا بالسير على نفس الخطى التي خطتها الحضارة الغربية (بشقيها الرأسمالي والماركسي) نحو قوتها المُعاصرة . . وتتمثل في خطوة للاتجاه الى العلم . . وخطوة هي نفسها للخروج من الدين . .

وفي ظنّهم ان المسلم اذا تشرَّب طقوس هذه الحضارة ، واطمأن اليها . . كما يتمنى مماليك هذه الحضارة . . وايقن بتفوقها عليه لا مجرد التفوق المادي فحسب . . بل الفكري والروحي . . انهارت مقاومته واصبح كالمدينة المفتوحة لمن هبْ ودبّ . . مُتاحة لكل ناهِب ومُقتحِم فتتحقق بذلك امانيهم الصفراء بسقوط الدين على الارض العربية ـ المعقل الاول والأخير للدين الحق ـ كما سقط على ارض أوروبا شرقا وغرباً .

وقد نشط . . مماليك هذه الحَضارة . . من خلال وسائل الإعلام المختلفة في الآونة الأخيرة . . على تنشيط الاستخفاف بالدين . . أو اهماله . . وعلى الإيحاء بكل الوسائط الذهنية والنفسيّة بأن اقتلاع الإيمان بالله قضاء محتوم ترتبط حتميته بحتمية التقدم . . ووراءهم رغم ذكاء دعاياتهم المصبوبة في قوالب تفوح منها رائحة القهر . . أن يروا اشجار وأفكار هذا الدين تَخْضَرٌّ وتترعرع وتزدهر في كل مكان

على هذه الارض الطيبة . . وفي صوت وفِكر وآمل هذا الانسان العربي الذي لم يزل حياً لم يمت ـ وواعيا لم يتبلّد ، ومتفائلاً لم يتجهم لمستقبله ولم ييأس من بقائه وانبعاثه بقوة الايمان . . واستناداً الى يقينه في الدين الحق . . كما هو في فطرتـه . . وفي المصادر الصحيحة التي لا تزال ثابتة في حوزته . .

ويبدو أن هؤلاء المثقفين العرّافين !! لن ينتظروا طويلاً حتى يتأكـدوا من خطئهم في القياس وخطئهم في النتيجة . . ونذكرهم بقول الفيلسوف العربي ـ ابن طفيل ـ حيث يقول : (قد يطول صبر الابرياء على نفـاق الدعـوات . . وصبر الفقهاء على شعوذة البيعات . . ولكن كلاهما حين يتيقنان من زور الكلمة . . فانهما لا يرحمان في قسوتهما على المنكر) .

وكَم في كلمات ومقالات تلاميذ الحضـارة الغربيـة بشقيها . . من غِشٍ كثيف . . وكم يحنّ العربي الى تجربة من عندياته . . هواؤها طلق . . وللأنفس والارزاق فيها أمان . . وللاجتهاد سبيل لا يُزعجه النعيق . . ولا يعبث به أطفال كبار كأولئك الذين انبروا من على صفحات الجرائد لتسجيل الدعاوى الفـارغة المكررة . . والفرضيات المزعومة . . وارسلوها ارسال المسلمات اليقينية . . التي لا يرقى اليها الشك . . متحدين بذلك أمة عريقة مجيدة في أقدس افكارها وارسخ معتقداتها . . واعمق مشاعرها وأحاسيسها . . ولو لم يكن في السكوت والاهمال ما يجرِّيء هؤلاء الكتاب وأمثالهم على الاستمرار في التحدي لما صرفت ساعات من العمـر ، في قراءة ابـاطيلهم واسمارهم . . وتسجيـل أوهامهم واغـاليطهم . . وكشف الغطاء عن دوافعهم المغلفة بـ (التفكير المنطقي) والمبـرقعة بـ (المنهـج العلمي) . .

وليس لي في الختام الاّ أن أزجي الشكر لهم لانهم حملوني بتهريجهم على كتابة هذه الصفحات . .

و (الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله) .

تمهيد

قبل مناقشة الافكار التي طرحها دعاء العلمانية وكرروها في مقالاتهم الصحفية . . لابد من التمهيد لذلك باعادة القول في أن المبادىء التي تسود العالم ثلاثة . . تقوم على نظريات مختلفة كل الاختلاف . . واذا دققنا النظر في الأمر لم نجد غير هذه النظريات الثلاث . . ولا يستطيع أحد من الناس . . أن يأتي بنظرية رابعة تنفرد عن هذه النظريات الثلاث . . اذ ما عداها تلفيق منها . . وهي : -

أولاً : الدين ومنه الدولة . . اي الايمان بمزج المادة بالروح وهو المبدأ الاسلامي . .

ثانيا : فصل الدين عن الدولة . . اي الايمان بفصل المادة عن الروح وهو المبدأ الديمقراطي الرأسمالي . .

ثالثا : انكار الروح انكاراً باتاً . . والايمان بالمادة أنها أزلية وهو المبدأ الاشتراكي الشيوعي . .

ولو نظرنا الى القيادات الفكرية لهذه المباديء لوجدنا أنَّ القيادة الفكرية للرأسمالية . . مبنية على الحل الوسط بين رجال الكنيسة والمفكرين . . لا على العقل . . وهي حلّ ترضيَة او وسط . . ولذلك نجد الحلّ الوسط أصيل عندهم . . فهم دائما يقربون بين الحق والباطل والايمان والكفر . . والعرب واليهود . . بحلٍّ وسط . . بالرغم من انعدام وجوده . . اذ لا وَسَط بين الحق والباطل .

والرأسمالية لا تعترف بالدين ولا تنكره . . ولا تجعل الاعتراف به أو إنكاره موضع بحث . . ولكنها تقرر مبدئيا فصل الدين عن الحياة . . لانها تريد ان يكون

سير الحياة نفعياً بحتاً لا شأن للدين به . .

والقيادة الفكرية الشيوعية مبنية على (المادِّية) لا على العقل لأنها تعتقد أن المادة تسبق الفكر . . اي : تسبق العقل ولذلك فكل شيء مبني على المادة . . ولا يوجد وراء المادة شيء مطلقاً . . وأن هذه المادة ازلية قديمة لم يوجدها أحد فهي واجبة الوجود . . وعن هذه الفلسفة المادية انبثقت انظمة الحياة .

والقيادة الفكرية الاسلامية مبنية على العقل . . لأن الاسلام لا يطالب غير العاقل بتكاليفه . . فاذا أخذ ما أوهب سقط ما أوجب . . ثم لو نظرنا لتعريف الايمان كما حدده الاصوليون نجد أنه هو :ـ(التصديق الجازم المطابق للواقع عن دليل) . . فوجود الدليل شرط اساسي في وجود الايمان . . والدليل اما ان يكون عقليا او نقليا . . والذي يعيِّن كون الدليل عقليا او نقليا واقع الموضوع فان كان الموضوع واقعا محسوسا تدركه الحواس . فإن دليله يكون عقليا لانقليا وإن كان الدليل النقلي نفسه مما لاتدركه الحواس لم يكن بُد من أن يكون اعتبار الدليل النقلي دليلا يصلح للايمان متوقفا على ثبوت كونه دليلا بالدليل العقلي ومن المفروض على المسلم ان يؤمن بوجود الله سبحانه وبنبوَّة محمد ـ ﷺ ـ وبالقرآن الكريم عن طريق العقل . . وبالمغيبات على أن تأتي من شيء يثبت وجوده العقل . . ولذلك كانت القيادة الفكرية الاسلامية . . هي القيادة الوحيدة المبنيَّة على العقل . .

والمبدأ لابد ان ينشأ في ذهن شخص : إما بوحي الله له به وأمره بتبليغه . . وإما بعبقرية إشراقية في ذهن صاحبها . . والمبدأ الذي ينشأ بوحي من الله . . هو المبدأ الصحيح ـ من غير شك ـ لانه من خالق الكون والانسان والحياة . . . فهو مبدأ قطعي . .

وأما المبدأ الذي توحيه العبقرية فباطل . .لأنه ناشىء عن عقل محدود، ولأنه يعجز عن الاحاطة بالوجود . . هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى : فان فهم الانسان للتنظيم عرضة للتفاوت والاختلاف والتناقض والتأثر بالبيئة التي

يعيش فيها . . مما ينتج عنه النظام المتناقض المؤدي الى شقاء الانسان . . كما هو مُشاهد . .

وقد يتساءل متسائل : وما دام ذلك كذلك . . فلماذا نجد المجتمعات الاسلامية وخصوصا العربية منها . . على هذه الحالة المزرية من التخلف والجمود . . بل مُشوَّشة كل التشويش من جميع النواحي الفكرية وغيرها . . لأنه لا يستطيع احد ان يجزم بأن المجتمع ديموقراطي او اشتراكي او اسلامي . . مع أن جل اهله من المسلمين . . فالافراد يدينون بالاسلام . . ويحكمون بنظام ديموقراطي . . ويدعون الى الاشتراكية . . .

ولهذا فالبلاد الاسلامية بعيدة كل البعد عن النهضة . . لانها تركت معظم اسلامها . . ولم تعمل بالاشتراكية ، أو الديموقراطية . . بل مزجت فيما بين الانظمة الثلاثة المتناقضة . . وبهذا المزج والتعقيد نراهم لا يعرفون متى يبدأون . . واذا بدءوا بشيء لا يعرفون كيف ينتهون . . ويبدو ان حمى التشويش والتلفيق هذه انتقلت من انظمتنا السياسية ومجتمعاتنا الى كتابنا ومفكرينا . .

والافكار التي تقوم على التلفيق بين المباديء المتناقضة . . لا يمكن أن تكون عقلية أو علمية . . فضلاً عن ان تحقق نهضة . . فتحقيق النهضة مرهون بتحديد الفكر . . فالعرب عندما حددوا افكارهم بحدود الاسلام وصبغوا مجتمعهم بصبغته نهضوا نهضة بلغت حدَّ الكمال . . . وكذلك الغرب عندما حدَّد افكاره بحدود الرأسماليه حقق نهضة لابنائه وكذلك الامر بالنسبة لروسيا عندما حددت فكرها بالماركسية . .

ويجب ان لا يغيب عن الاذهان أن هناك فرقا بين العلم والثقافة فالعلم : هو المعرفة التي تؤخذ عن طريق الملاحظة والتجربة والاستنتاج . . كعلم الطبيعة والكيمياء وسائر العلوم التجريبية ، أما الثقافة : فهي المعرفة التي تؤخذ عن طريق الاخبار والتلقي والاستنباط . . كالتاريخ واللغة والفقه والتفسير والحديث والسير

، وهناك معارف تجريبية تلحق بالعلم وان كانت تدخل في الثقافة كالحساب والهندسة والصناعات . . وأما الفنون : كالتصوير والنحت والموسيقى فانها من الثقافة لانها تتبع وجهة نظر معينة . . والفرق بين العلم والثقافة : أن العلم عالمي . . ولا تختص به أمة دون اخرى ، فليس هناك معادلة كيميائية رأسمالية واخرى اشتراكية . . أما الثقافة : فقد تكون خاصة تنتسب للامة التي انجبتها . . وقد تكون من خصوصياتها ومميزاتها كالادب وسير الابطال وفلسفتها في الحياة . . وقد تكون عامة كالتجارة والملاحة وما شاكلهما . . ولهذا يؤخذ العلم اخذا عالميا . . واما الثقافة : فان الأمة تبدأ بثقافتها حتى اذا درستها ووعتها وتركزت في اذهان ابنائها انتقلت الى الثقافات الاخرى . .

ولذلك فسبيل البعث لكل حضارة . . بل الشرط الاول من شروط نهضتها هو ايمانهابتفوقها . . واعتزازها بخصائصها .

وكلنا يعلم انه عقب ظهور الاسلام بقليل ولألف سنة تالية . . ظَلَّ المسلمون يحتلون في العالم القديم نفس المركز الذي تتمتع به الدول العظمى في عالم اليوم . .لقد كانت اوروبا لا تزال غارقة في الجهل والظلام في حين كان المسلمون قد اوجدوا حضارة عظيمة رائعة . . ثم احتضنوا علوم الروم والفرس واليونانيين والهنود وهضموها واضافوا اليها . . واصبحوا هم وحدهم ائمة العلم في تلك العصور . . وكانت اللغة العربية لغة العلم الوحيدة . . وكان طلاب العلم يتوجهون الى القاهرة ودمشق وبغداد وقرطبة وغرناطة تماما كما يتوجهون اليوم الى معاهد الشرق او الغرب . .

وفي القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين بينما كان المسلمون في أوج شوكتهم السياسية . . ودقوا ابواب فرنسا غرباً . . بدأت اوروبا حروبها الطاحنة ضد المسلمين . . والتي استمرت لقرنين كاملين من الزمان . . وسميت تلك الحروب بالحروب الصليبية . . وانتهت بفشل الصليبيين نهائيا في تحقيق شيء من

أهدافهم . . لكن اوروبا لم تفقد العزيمة . . فقد تأكد الصليبيون خلالها من ان المسلمين اقوى منهم في العلوم والفنون . .

ولنا ان نتصور حالة المعسكر الفرنسي حين بدأ الجيش المصري يقذفه بالسهام النارية عن طريق المنجنيق . . بدا للفرنسيين ان الافاعي النارية تنطلق طائرة من معسكر المسلمين لمهاجمتهم . . ولم يكن الفرنسيون يملكون سوى الاسلحة اليدوية القديمة . . وقد اخذتهم هذه السهام النارية على غِرَّة . . تماما كما يحدث اليوم لبلد متخلف تفجؤه الصواريخ والقذائف الحديثة المنطلقة من الطائرات الاسرع من الصوت . .

هكذا كان المسلمون بالنسبة لاوروبا خلال هذه الحروب التي دارت بين القرنين الحادي والثالث عشر . . وبعد الفشل الذريع قررت اوروبا تغيير استراتيجيتها لالحاق الهزيمة بالمسلمين . . وكانت خلاصة التفكير الاوروبي الجديد هو : ان يتعلم الغرب علوم المسلمين ليهزموهم باسلحتهم وفنونهم ذاتها . . وسمى الاوروبيون حربهم الجديدة بـ (الصليبية الروحية) . . وكانت غاية الصليبية الروحية : أن يتعلم الاوروبيون علوم المسلمين ويقدِّموها بصورة مشوَّهة حتى ينفر المسلمون من دينهم . . . وقد تولت ذلك حركتي التبشير والاستشراق وقد نجحتا في تحريف الحقائق . . وتزوير تاريخ المسلمين لدرجة ان معظم الكتب الاسلامية والموجودة في معظم انحاء العالم قد امتلأت بخرافات واباطيل عن الاسلام والمسلمين . .

أما الشق الثاني من الصليبية الروحية : فيتمثل في تعلم العلوم التي كانت السبب في قوة المسلمين . . ولقد بدأ الغرب المسيرة من حيث توقف المسلمون . . وأضافوا الى ابحاثهم حتى تمكنوا من تغيير الطاقة والقوة لأول مرة في تاريخ البشرية . . وقد استخدم الغرب هذه القوة الجديدة ضد العالم الاسلامي ـ وما يزال ـ وتمكن من الحاق الهزيمة بالمسلمين في كل مكان .

أما المثقفون العرّافون في بلادنا ـ من تلاميذ المبشرين والمستشرقين ـ فعندما دعونا لاكتساب علوم الغرب . . لم يكونوا يستهدفون سوى تقليدْ مظاهر الحضارة القاهرة . . لنصبح متحضرين في عيون السادة المستعمرين . . وكانت النتيجة أننا لم نتوجه إلّا الى أداب الغرب وثقافته ولغاته وقشور حضارته . . ولم يترجم لنا هؤلاء المثقفون العرافون الا قصص (ارسين لوربين) و (اجاثا كريستي) وما شابه ذلك . . ولم يلتفتوا الا قليلا جدا الى علوم الغرب وصناعته التي كانت السبب الحقيقي وراء طغيان اوروبا وقوتها . . والتي مكنت لكل حقود لئيم كي يبدي شماتته فينا . . إن هذا التفوق الآلي هو الذي سمح لِقِيَم اكثر تخلفا واقل سموا من ان تسود قيما اعلى واسمىٰ . . فالغرب رغم هزيمته آنذاك . . اعتز بثقافته . . ورفض ثقافة المسلمين . . واقبل على علومهم فكان عصر النهضة . .

وروسيا والصين مثلا . . رفضتا الايديولوجية الغربية برمتها . . ومن ثم قطعتا شوطا كبيرا في تقدم الغرب المادي . . واليابان كذلك : التي تصفها وسائل الاعلام المقروءة بأن قفزاتها الحضارية اذا استمرت على هذا المنوال . . فان العالم كله سيسير الى عصر سيطلق عليه اسم (عصر اليابان) . . ونفس الصحف التي تنقل اخبار هذه النهضة تؤكد تمسك اليابانيين تمسكاً عجيبا بتراثهم وتقاليدهم ودينهم وعقائدهم . . حتى أن اكثر الشباب ثورة على الماضي لا يتصورون كيف يمكن ان يجلس الياباني الى الطعام دون أن « ينحني احتراما لاجداده القريبين والبعيدين » بل قالت هذه الصحف : « ان الماضي لا يزال سائدا في اليابان وهو ليس عقبة في سبيل المستقبل ولكنه حافز قوي » .

ولننظر الى تركيا الحديثة . . تركيا اتاتورك . . الرجل المريض التي لم تعتز بثقافتها وحضارتها الاسلامية . . واقتبست الايديولوجية الغربية بحذافيرها ـ وهو الشيء الذي يسعى له مماليك الحضارة الغربية في بلادنا ـ ولبس الاتراك القبعة الغربية . . وكتبوا لغتهم من الشمال الى اليمين وبالحروف اللاتينية . . فماذا حققوا ؟!

لم يحققوا واحداً بالمليون من ذلك الذي حققته روسيا أو اليابان الذين جاوروهم لا في الارض وحدها . . بل في تاريخ الثورة كذلك . . وذهب الرجل الذي كان يهدد اسوار المدن الغربية الكبرى . . والذي كان يخشاه الشرق والغرب عندما كان معتزاً بثقافته الاسلامية . . ففي معاهدة الخامس والعشرين من شهر شباط ١٥٩٧ المعقودة بين (هنري الرابع) . . والسلطان (محمود الثالث) السلطان العثماني . . يقول السلطان في نص المعاهدة :

(انا السلطان الذي بفضل نعم الله وآلائه التي لا تحصى وبفضل قوة الخالق العظيم وبفضل معجزات رسوله الاعظم . . امبراطور الاباطرة الظافرين . . موزِّع التيجان على اعظم ملوك الارض خادم الحرمين الشريفين بمكة والمدينة . . وحاكم القدس الشريف وحاميها . . سيِّد البحار البيضاء منها والسوداء . . . الخ) هذا هو حالهم عندما كانوا يحملون راية الاسلام . . وعندما رفضوا ان يذوبوا في الايديولوجيات الشرقية او الغربية . . ولكن عندما تركوا راية الاسلام وحملوا راية العلمانية . . وهي من نتاج الحضارة الغربية وعندما فقدوا اعتزازهم بتراثهم الاسلامي . . وحضارتهم الاسلامية . . ذهب الرجل الى رحمة الله . . وبقي المريض المُزمن . . الذي يتكفف ويلتقط احسانات ومعونات الدول الكبرى والصغرى . . لهذا نرفض الخضوع او الذوبان في اية ايديولوجية . . ونعتز اعتزازاً لا حَدَّ له بحضارتنا وثقافتنا العربية الاسلامية . . واعتزازنا بحضارتنا وثقافتنا ليس رِدَّة ولا حنينا للماضي . . بل لأننا وقد لمسنا قبسا من ضياء هذه الحضارة يَعِزُّ علينا ان نكون كأولئك البؤساء الذين رآهم الرسول ﷺ في معراجه . . يأكلون لحماً نتناً ويَصدِفون عن اللحم الطيِّب . . ولن نكون بذلك ضد الانفتاح الفكري والحضاري على العالم . . الذي نعتبره واجبا من واجبات الحاضر . . وضرورة من ضرورات المستقبل . . بل من السخف البالغ ان يُتَّهم الاسلام بمعاداة التقدم العلمي أو تكنولوجيا الحضارة الغربية بشقيها . . ولم نعثر على نص اسلامي يستثني العلوم العصرية النافعة من العلوم التي حث الاسلام على طلبها بل نرى على رفوف

المكتبات الاسلامية كتب الكيميائي العظيم ـ جابر بّن حيان ـ وكتب الطب لابن سينا وغيرهم من العلماء تقف شامخة كالطود لتعلن عن التقدم العلمي الكبير الذي حصل عليه الفكر العلمي في ظل الاسلام . . فالاسلام ليس انغلاقا داخل قوقعة محكمة الغلق وانما انفتاح كامل على ثمرات الفكر الانساني سماعاً وقراءة وتأملاً في هدي منهج فكري اسلامي ثابت قائم على (استماع القولَ ـ كل قـول ـ واتباع أحسنة . .) ولكن ما يتعين علينا ملاحظته أن بونـاً شاسعـاً بين مجتمـع مستقل مسيطر على وجوده ومصيره ويتغذى بارادته من الحضارات الاخرى وفقا لاختياره المطلق وبين ظروف تفرض نفسها على مجتمعات اليوم . . ويتحول الفكر الوافد الى (غازي) والانفتاح الى (فتح) . . والفارق بين امسنا ويومنا . . اننا كنا في الاول مستقلين ومنتصرين . . يجري الاختيار والهضم لدينا وفقا لاحتياجاتنا . . ويدور على قطب عقائدي ثابت يحقق للجماعـة انتماءهـا السياسي والحضـاري . . أما اليوم . . فان الثقافة ترد علينا من الغير في صورة الاقتحام والإغراق والتضييع . . مما يؤدي بنا الى ان نفقد هويتنا السياسية والاجتماعية والحضارية . .

ثم اننا لا نحتاج الى ثقافات الآخرين بمقدار ما نحتاج الى علومهم . . والتي كانت السبب في طغيانهم والعلوم عالمية . . وباستطاعتنا ان نفعل الكثير في هذا المجال . . وما علينا إلاّ أن نبدأ من حيث انتهى الآخرون . . بعد ان ننفض عن كاهلنا ثوبي الجهل والغفلة . . لقد اذلّنا البعد عن ديننا ولا يحررنا الا العودة الجادة اليه . . كما حررنا في السابق ونفخ فينا روح العزم والعلم والتصميم والارادة . .

إن أسلافنا بدءوا رحلتهم من مرحلة البداوة ، حتى قفزوا بالاسلام الى اعلى مدارج الحضارة . . بينما نحن اخلافهم التعساء . . آثرنا أو فُرض علينا ان نسير في الاتجاه المضاد . . بدلاً من مواصلة مسيرتهم بينما يتعرض تراثنـا لحملة تشكيك متأثرة بالاسلوب (الغوبلزي) السيء الصيت .

أفكار دعاة العلمانية في الميزان

يجد المتتبع والمطّلع على مقالات بعض دعاة العلمانية الصحفية ومناقشاتهم في ندوة جمعية القانون التي عقدت في جامعة الكويت مؤخرا أن اهم الافكار التي تطرقوا اليها وركزوا عليها فكرتان رئسيتانّ لا ثالث لهما . . .

اما الفكرة الاولى: فتدور حول (ضرورة اتباع منهج العقل) حيث قال أحدهم في ندوة جمعية القانون ما نصه:
(بامكاننا فعلاً بأن نلغي هذه الاشكالات من الطائفية والعنصرية عن طريق اتباع منهج العقل)

وكرر مطالبته باتخاذ العقل حكماً في المنازعات في مقالة الموسوم بـ (حرب الخليج وحياة القطيع) وكذلك في مقال له تحت عنوان : (عندما يغيب العقل) ومؤخرا في مقال له تحت عنوان (فلسطين مشكلة واقعية وانسانية !) حيث قال : (ولو أن الأمر مرجعة لي . . لما قبلت إلاّ ما يرضى به العقل ويرفع من مكانة الانسان وكرامته !!)

وتدور الفكرة الثانية حول مطالبته بالعلمانية . . اي : فصل الدين عن الدولة . . اما عن الفكرة الاولى من الافكار التي طرحها الدكتور وهي (ضرورة اتباع منهج العقل) فنقول وبالله التوفيق : -

اننا لو سلمنا جدلا بصحة هذه المقولة . . فسرعان ما نصطدم بالحقيقة القائلة بأن عقول الناس متفاوتة . . لما نراه من تفاوت البشر في المدارك والذكاء والحدس والاستنباط فمنهم الضعيف ومنهم المتوسط ومنهم المتفوق الذي وهبه الله

سبحانه فطنة نادرة المِثال . . ونظراً بعيد المنال وليس ذلك لتفاوت في التعليم . . بل لتفاوت في الفطرة والمَلَكة التي لا دخل فيها لاختيار الانسان . . ولا شيء كالعقل يرضىٰ به صاحبه . . فكل واحد من بني الانسان يظن ان عقله اصح العقول حتى لو كان مُفلتا من اسوار مستشفى المجانين . .

ثم ان الانسان ليس عقلاً فقط . . ولكنه عقل وغرائز وشهوات . . الخ وقد تطغىٰ الشهوة على العقل وتستبد به . . والشهوة اذا استبدت بعقول الناس اوقعت بينهم الخصومات . . وجعلت (بأسهم بينهم شديد) واشعلت الحروب والمنازعات بين الامم والشعوب . .

ثم هناك مسائل معينة جاء الدين فيها هاديا للعقل . . لأن العقل اذا بحث فيها مستقلاً بنفسه فانه لن يصل الى نتيجة يتفق عليها الجميع . . ومعنى ذلك : انه لو تُرِكَ الناس وعقولهم في هذه المسائل فانهم يختلفون ويتفرقون فرقا عديدة . . ويتنازعون . . ولا ينتهي بهم الأمر الى الوحدة والانسجام . . ولا الى الهدوء والطمأنينة وهذه المسائل هي :

١ ــ ما وراء الطبيعة : أي اي العقائد الخاصة بالله سبحانه وباليوم الآخر والغيب الالهي على وجه العموم .
٢ ــ مسائل الاخلاق كالخير والفضيلة وما ينبغي ان يكون عليه السلوك الانساني ليكون الشخص صالحا .
٣ ــ مسائل التشريع التي ينتظم بها المجتمع وتسعد به الانسانية .

لقد جاء الدين هاديا للعقل في هذه المسائل بالذات . . لأن العقل اذا بحث فيها مستقلا بنفسه ـ كما اسلفنا ـ فانه لن يصل الى نتيجة تتفق عليها العقول السليمة . . ولو كان العقل يكتفىٰ به في هذه الأمور . . لم يكن للوحي فائدة ولا غناء . .

يقول الشيخ الجليل ابو سليمان المنطقي : (إن منازل الناس متفاوتة في

العقل . . وانصباؤهم مختلفة فيه . . فلو كنا نستغني عن الوحي بالعقل كيف كنا نصنع وليس العقل بأسره لواحد منا فانما هو لجميع الناس ، ولو استقل انسان واحد بعقله في جميع حالاته في دينه ودنياه . . لاستقل ايضا بقوته في جميع حالاته في دينه ودنياه ولكان وحده يفي بجميع الصناعات والمعارف . . وكان لا يحتاج لاحد من نوعه وجنسه . . وهذا قول مردود ورأي مخذول . ١ هـ)

فالذي يروق لشخص ما عقليا . . ربما لا يروق لغيره عقليا . . لذلك يجب ان لا يتدخل العقل في هذه المسائل بالذات . . والا لاختلف الناس باختلاف عقولهم . . وادعى كل واحد أنَّ ما عليه انما هو الحق . . وما عليه غيره هو الباطل كما هو حاصل ومشاهد . . فالعقل وحده قاصر . . فلابد ان يكون مع العقل . . الشرع . .

أو كما يقول ابو حامد الغزالي في كتابه (معارج القدس في مدارج معرفة النفس) « العقل لن يهتدي الا بالشرع . . والشرع لم يتبين الا بالعقل والعقل كالأس والشرع كالبناء . . ولن يغني أس ما لم يكن بناء ولن يثبت بناء ما لم يكن أس . . وأيضا العقل كالبصر والشرع كالشعاع . . ولن يغني الشعع ما لم يكن بصر . . فلهذا قال تعالى :

﴿ قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ﴾ والعقل كالسراج والشرع كالزيت . . فما لم يكن زيت لم يحصل السراج . وما لم يكن سراج لم يضيء الزيت . . وعلى هذا نبه الله سبحانه بقوله تعالى : **﴿ الله نور السموات والأرض . . الى قوله . . نور على نور ﴾** فالشرع عقل من خارج والعقل شرع من داخل . . وهما متعاضدان بل متحدان . . ولكون الشرع عقلاً من خارج سلب الله تعالى اسم العقل من الكافر في غير موضع من القرآن نحو قوله تعالى **﴿ صم بكم عمي فهم لا يعقلون ﴾** .

ولكون العقل شرعا من داخل قال الله تعالى في صفة العقل : **﴿ فطرة الله**

التي فطر الناس عليها . . لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ﴾ فسمى العقل ديناً . . ولكونهما متحدين قال سبحانه : **﴿ نور على نور ﴾** اي : نور العقل ونور الشرع . . ثم قال : **﴿ يهدي الله لنوره من يشاء ﴾** فجعلهما نوراً واحداً . . فالشرع اذا فقد العقل لم يظهر به شيء . . وصار ضائعا ضياع الشعاع عند فقد البصر . . والعقل اذا فقد الشرع عجز عن اكثر الامور عجز العين عند فقد النور . ا هـ » .

وقد يتساءل متسائل : ولكن اي شرع تعني وتقصد . . ؟

فلو قلت الاسلام . . فلربما قال اليهودي : ولماذا لم يكن الشرع اليهودي هو الحاكم على العقل . أو ربما يقول ذلك النصراني . . لماذا لا تكون النصرانية هي الحاكمة عليه . . ؟

فنقول : لو نظرنا للامر من زاوية الديمقراطية لوجدنا أن الاسلام في بلادنا هو دين الاكثرية . . فهو الذي يجب ان يكون حاكما على العقل وهاديا له . . ومع ذلك فَلنُلغِ حكم الديموقراطية ولننظر في الشرائع والمبادىء . . فأيهما وافق الفطرة . . وسلم من التحريف والتبديل يكون هو الجدير بذلك . .

فلو نظرنا الى كتاب اليهود المقدس . . (العهد القديم) نجده ينقسم الى ثلاثة كتب كبيرة متمايزة بعضها عن بعض . . ويُرمَزُ لهذه الثلاثة بلفظ (تنخ)فالتاء الاولى من اللفظ : تشير الى التوراة وهو الكتاب الاول .

والنون : تشير الى الانبياء .

والخاء: الى المكتوبات .

أ ــ فالتوارة وهي أهم كتاب تشريعي تحوي ما نزل على موسى ـ عليه السلام ـ من الشرائع والوصايا . . وظلت التوراة على حالها مع بني اسرائيل الى ٥٨٦ قبل الميلاد . . ثم غيِّرت وبُدِّلت . . فالتوراة التي بيد اليهود الآن باتفاق كثير من علماء عِلم مقارنة الاديان . . هي التوراة التي كتبها عِزْرا الورّاق . . الذي جاء ذكرهُ في

القرآن الكريم باسم عُزير . . . وذلك في مدينة بابل بالعراق بعد سنة (٥٨٦) ق . م (قبل الميلاد) . . ولما رجع عزرا من بابل مع المسبيين بالتوراة الجديدة . . ونظم احوال اليهود حدث نزاع بينه وبين اليهود السامريين (وهم نسل الاسباط العشرة وبعض بني لاوي وهم : راوبين ، شمعون ، يساكر ، زبولون ، دان ، نفتالي ، جاد ، اشير ، منسي ، افرايم . . ومنسي وافرايم هما ولدي يوسف عليه السلام . . وقد حُسبا بسبطين . .) فانفصل السامريون بسببه عن اليهود العبرانيين الى اليوم (واليهود العبرانيون هم سبطي يهوذا وبنيامين وبعض بني لاوي) ثم لكي يتهموا العبرانيين بالتحريف في التوراة . . غيَّروا آيات من توراة عزرا . . ـ هكذا يقول العبرانيون عنهم وهم يقولون عن العبرانيين نفس الشي ـ وسميت توراتهم بالسامرية . . وسميت توراة الفريق الآخر بالعبرانية . . وفي سنة ٢٨٥ ـ ٢٤٧ ق . م في عهد بطليموس فيلادلفوس وفي مدينة الاسكندرية ترجمت التوراة العبرانية(الاسفار الخمسة)إلى اللغة اليونانية على يد سبعين عالما من علماء اليهود . . وقد تعمَّد المترجمون إحداث تغيير في بعض معاني الآيات لتصير الترجمة غير معتبرة وغير مقدسة . وبذلك يرجع الناس الى التوراة العبرانية . . وسميت هذه التوراة بالتوراة السبعينية او اليونانية . . ولما ظهر المسيح ـ عليه السلام ـ وقال لاتباعه ما جئت لانقض الناموس ـ اي التوراة ـ تمسكوا بالناموس مع الانجيل . . ولما اعترف الرومان بالنصرانية مذهبا . . اعترفوا بصحة التوراة اليونانية . . وفضلوها على غيرها ولذلك هي مقدسة عند النصارى الكاثوليك (الملكانية) والارثوذكس (اليعاقبة) الى هذا اليوم . . ولما انشق (مارتن لوثر) وابتاعهُ على الكاثوليك رفضوا التوراة اليونانية واعتبروها مزيفة . . ورجعوا الى التوراة العبرانية وما يزالون يقدسونها الى اليوم .

وتوراة السامريين مكونة من خمسة اسفار فقط وهي :

١ ـ التكوين ٢ ـ الخروج ٣ ـ اللاويين (الاحبار)

٤ ـ العدد ٥ ـ التثنية .

ويقدسون سفري : يشوع والقضاة على انهما سفران تاريخيان . وتوراتهم مختلفة عن توراة العبرانيين . . وابرز مثال على ذلك اختلافهم في المكان المقدس الذي يتوجهون اليه في الصلاة والحج ، المكان الذي هو مثل الكعبة عندنا نحن المسلمين . . فالعبرانيون يقدسون هيكل سليمان في القدس والسامريون يقدسون جبل جِرزيم المبني عليه (هيكِل سُنْبُلُطْ) في مدينة نابلس . . وذلك بعد الرجوع من سبي بابل (انظر سفري عزرا ونحميا) . وكلتا التوراتين مختلفتين عن التوراة اليونانية . وتوراة العبرانيين تشتمل على تسعة وثلاثين سفرا منها اسفار موسى الخمسة . . والباقي تسمى بالتوراة مجازاً أو أسفار الانبياء . . والتوراة اليونانية تشتمل على ستة واربعين سفراً منها اسفار موسى الخمسة ـ عليه السلام . .

والخمسة اسفار هي :

١ ـ سفر التكوين : وهو يتضمن قصصا عن حياة الانسان الاول ومبدأ الخليقة والتكوين . . وعن حياة آدم واولاده وتاريخهم ووصف حياتهم الاجتماعية الى عهد ابراهيم . . ثم يستفيض في ذكر ابراهيم وحياته والبلاء الذي لحقه بالبلاد التي نزل بها . . ثم تصف كيف انتقل العهد الى اسحق ثم الى يعقوب . . ثم يصف حياة الاسرة الى ان انتقلت الى مصر مع يوسف على اثر حادثته التي ذكرها بالتفصيل .

ولفظ (التكوين) انما هو من وضع التوراة اليونانية . . وليس موجوداً في التوراة العبرانية .

٢ ـ سفر الخروج : وفيه حديث مُسهب عن حياة الاسرائيليين في مصر . . وكيف كان الفراعنة يسومونهم سوء العذاب وكيف نشأ موسى في هذا العهد العصيب . . وكيفَ كانت تربيته الى ان خرجوا من مصر .

٣ ـ سفر اللاويين : ويشمل العادات والوصايا والرسوم التي يتخذها الشعب في الضحايا والقرابين .

٤ ـ سفر العدد : وهو يحتوي على وصف مُسهب لحياة بني اسرائيل في التيه والنقباء

الاثنى عشر ومراحلهم المختلفة في البرية وكيف كان ينبجسُ الماء من الحجر على عدد اسباطهم وكيف كان ينزل المن والسلوى .

٥ ـ سفر التثنية : ويشمل التعاليم والنصائح والاحكام التي كان يرشد بها موسى قومه ـ زيادة على ما في الصحف المنزلة . . وبهذا ينتهي ما نزل على موسى . .

ب ـ سفر الانبياء (وهو القسم الثاني من اقسام العهد القديم) : وهذا السِّفر قد دُوِّنَ كل ما فيه بعد تحضرهم وتمدينهم في زمن ملوكهم الأوَل . . وهو يشمل قسمين : احدهما تاريخي محض . . وهو ذكر الملوك الذين تولوا حكم الشام الى تشتت الاسرائيليين في الأسر البابلي . . واهم ملوك هذا العهد داود وسليمان . . وغيرهما . . والقسم الآخر يشتمل على كلام الملوك وحكمهم وأمثالهم وتجاربهم .

جـ ـ المكتوبات : (وهو القسم الثالث من العهد القديم) . . وهو يحتوي على تسابيح داود وتمجيداته . . كذلك يحتوي على امثال سليمان بن داود وحكمه وتجاربه . . ويحتوي كذلك على تاريخ أيوب وما ابتلاه الله به . .

ولو نظرنا الى (التلمود) والذي يتضمن حسب ادعائهم (الشريعة الشفوية) ويسمونها (المشنا) اي : المتن . . فنجده يتألف من ستة اقسام : ١ ـ الفلاحة ونظمها ٢ ـ الاعياد والمواسم ومواقيتها ٣ ـ الاحوال الشخصية للجنس اليهودي من زواج وطلاق ونفقه ٤ ـ العقوبات ٥ ـ الذبائح والتَّقْدِمات ٦ ـ الطهارة والنجاسة .

وقد كثرت الشروح حول (المشنة) حتى تكون من ذلك كله كتاب كبير يسمى (الجمرة او الجمارا) بالاضافة الى عادات وتقاليد الشعب اليهودي والشعوب التي عاصروها وخالطوها .

والتلمود قسمان : احدهما التلمود الفلسطيني او الاورشليمي والثاني هو التلمود البابلي . . الذي كتبوه في الأسر البابلي . .

وقام علماء الشريعة اليهود من القرن الثاني الى السادس للميلاد بتهذيب ما كُتب ووضعوه في كتاب مستقل يبلغ حجمهُ حوالي العشرين مجلداً . . وأطلقوا عليه لفظ (التلمود) اي : التلمذة والتعليم . . واليهود حاليا يقدسون التلمود اكثر من التوراة . .

والناظر في محتوى هذه الكتب الدينية يجد امورا كثيرة منها :

(١) ان هذه الكتب الدينية المقدسة عند اليهود لا تتحدث إلاّ عن الشعب اليهودي . . فهي ديانة محلية . . غير قابلة لأن تكون ديانة عالمية في يوم من الايام .

٢ ـ العهد القديم مليء بالمتناقضات والاباطيل والاساطير الخرافية . . وكانت الكنيسة لا تسمح لاحد بدراسته دراسةً علمية نقدية لانه لا يحتمل هذه الدراسة من جهة . . ولانه اساس (العهد الجديد) ـ كتب الديانة النصرانية ـ الذي قامت عليه الكنيسة المسيحية من جهة اخرى . . فاذا انهار الاساس انهار البناء ولأن الجرأة على هذه الدراسة ستفتح المجال لدراسة العهد الجديد واظهار ما فيه من تناقض وتهافت واوهام .

ولكن العقول المتحررة استطاعت ان تقتحم هذا الميدان . . وان تراجع وتبحث وتُوازن وخرجت بنتائج قيِّمة قام على اسسها علم مقارنة الاديان ونقدها . . وبدأت الاضواء تتسلط على ما خفي من اسرار الكتاب المقدس بقسميه (العهد القديم والعهد الجديد) ، واهتزتَ القداسة التي كانت تحفه . . وتداعى اركان البنيان . .

وكان من ابرز الباحثين في هذا المجال : الامام ابن حزم الاندلسي في كتابه القيم (الفصل في الملل والاهواء والنحل) والامام ابن تيمية في كتابه (الجواب الصحيح لمن بَدَّل دين المسيح) والامام ابن القيم في كتابه (هداية الحيارى) ومن المحدثين بل ابرزهم (رحمةُ الله بن خليل الرحمن الهندي) في كتابه الجامع المانع

(اظهار الحق) وقد حققه العلامة الشيخ الدكتور احمد حجازي السقا . . وطبع في مصر . . وغيرهم الكثير .

اما من ناحية وجهة نظر اليهود انفسهم فقد كتب الفيلسوف اليهودي (اسبينوزا) نقدا قويا للعهد القديم اثبت فيه عدم صحة نسبة الاسفار لمن نسبت اليهم من الأنبياء . . وبخاصة التوراة . . حيث اثبت بالادلة القاطعة انها كتبت بعده بمئات السنين وذلك في كتابة القيم (رسالة في اللاهوت والسياسة) واكدً ان الذي كتبها انسان آخر عاش بعد موسى بمدة طويلة . . فلو كان موسى الذي كتبها لما تحدث عن نفسه بضمير الغائب . . وموسى لم يكتب سفر التثنية لانه لم يعبر نهر الاردن . . وبعض الاماكن سميت باسماء مختلفة عما كانت عليه في عهد موسى . . وكان سفر موسى مكتوبا على حائط المعبد الذي لم يتجاوز اثنى عشر حجراً اي ان السِّفر كان اصغر بكثير مما لدينا الآن . . ولم يكتب يشوع السفر المسمى باسمه . . بل كتبه انسان آخر اراد كتابة سيرته واثبات فضله وشهرته . . وتَمُت الرواية الى ما بعد موته بقرون عدة . ويوجد جزء من هذه الرواية في سفر القضاة مما يدل على أنه كانت هناك روايات من قبل ضُمت الى العهد القديم باعتباره تاريخا وطنيا لنبي اسرائيل او سجلا قوميا لهم .

ولا يظنن احد ان القضاة أنفسهم هم الذين كتبوا سفرهم . . لأن مقدمة الاصحاح الحادي والعشرين تدل على ان كاتبا واحدا قد كتبه .

ولم يكتب صموئيل سفره لأن الرواية تمتد الى ما بعد موته بقرون عديدة ولم يكتب الملوك سفرهم . . بل اخذ السفر من كتب : حِكَم سليمان ، وأخبار ملوك يهوذا واخبار ملوك اسرائيل . . وهي تروي قصصا قديمة سابقة على عصر كاتب السفر . . وقد كتب هذه الاسفار كلها كاتب واحد . . اراد ان يقص تاريخ العبرانيين منذ نشأتهم حتى تخريب المدينة الأول . . ويظن سبينوزا وهو على صواب ان عزرا (العُزَير) هو الذي كتبها لأن الروايات كلها تنتهي قبله . . ولأنه يذكر في

السفر الذي يحمل اسمه : انه وهب حياته لتنقية الشريعة . . وقد سميت الاسفار باسماء الانبياء لا لأنهم كتبوها : بل لأنها تدور حولهم فالاسفار الخمسة تدور حول موسى ثم نسبت اليه . . والسفر السادس يدور حول يشوع فنسب الى يشوع . . ولم يكن عزرا هو من اعطى هذه الاسفار صيغتها النهائية . . بل اقتصر عمله على جمع الروايات من كتب اخرى . . ونسخها ونقلها دون ترتيب او تحقيق . . مما يفسر وجود نفس الروايات بالفاظ مختلفة في عدد من الاسفار . . كما تثبت الفاظ الرواية انها كانت مكتوبة بعد ان حدثت الوقائع بزمن طويل . . واذا فحصنا باقي اسفار الكتاب نجد ان سفر اخبار الايام قد كتب بعد موت عزرا بمدة طويلة . . وربما بعد اعادة بناء المعبد (هيكل سليمان) . . وتعجب من ادخال هذا السفر في الكتاب المقدس واستبعاد سفر الحكمة وسفر طوبيا وغيرهما بحجة انها منتحلة واخذت اسفار الانبياء من كتب اخرى وتتبع ترتيبا زمنيا مخالفاً لترتيب ظهور الانبياء زمنيا . . كما انها لا تحتوي على كل الانبياء بل على بعض منهم . . ولا يحتوي كل سفر على كل النبوة بل على اجزاء منها . . ومع ان سفر اشعيا اسطورة الا انه ناقص . . وسفر ارميا خليط من نصوص بلا ترتيب ودون مراعاة للازمنة . . وسفر ارميا وبعض اصحاحاته من سفر باروخ . . مما يدل على انه لم يكن هناك فصل بين اسفار الانبياء كما هو حاصل الآن . . كما يدل على وجود مصادر اخرى تتضمن روايات توضع في هذا السفر او ذاك وهو ما يفسِّر تكرار النصوص في الاسفار المختلفة . . . الى اخر ما كتبه ومن اراد الاستزاده فعليه الرجوع الى رسالته . .

وأما من وجهة النظر المسيحية : فقد ناقض (مارتن لوثر) الكنيسة البابوية واباح النظر في الكتاب المقدس لكل باحث متخصص وبدأ علماء اللاهوت واساتذة الجامعة المتخصصون في (مقارنة الأديان ونقدها) في دراسة الكتاب المقدس في ضوء الكشوف الحديثة .

ومن خير من كتب في هذا المجال العلامة اللاهوتي (جيمس البرت بايك) اسقف ومطران كاتدرائية كاليفورنيا . . والباحث العلامة (موريس بوكاي) حيث

اصدر كتابا عنوانه (دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة) وقـد نقد الكتاب المقدس بقسميه (العهد القديم والعهد الجديد) وأظهر ما فيه من اكاذيب وتلفيقـات لا يمكن ان تتفق مع العلم الحـديث . . ثم تحدث عن آخـر الكتب السماوية . . القرآن الكريم . . واثبت بـالادلة القـوية الحـاسمة مـا يضمه من اشارات علمية عديدة تتفق واحدث ما وصلت اليه الكشوف العلمية الحديثة من حقائق وتجارب حاسمة .

٣ ــ لكي يكون الكتاب ـ اي كتاب ـ مقدساً . . لابد له من شروط اهمها جميعاً ان يكون هذا الكتاب من عند الله سبحانه وتعالى . . وان يحوي هذا الكتاب ما يتناسب مع جلال الله وعظمته وقدسيته . . وثاني هـذه الشروط انيكـون كاتب مثل هذا الكتاب احد الانبياء المعروفين وان يصل الينا عن طريق السند المتصل . . الموثوق به . . وان يكون هناك الدليل القاطع ـ والغير قابل لادنى شك ـ على ان النبي هو كاتبه . . وحملة هذا الكتاب اهل ثقة . . اما ان يكون كاتب هذا الكتاب انسان عادي . . ليس له في النبـوة شيءوحتى لو كتبـه بالالهام . . فلا يكون مثل هذا الكتاب مقدسا . . اما اذا حوى الكتاب ـ اي كتـاب ـ يقال عنـه مقدس . . العـديد من القصص الجنسية الرخيصة . . والمـواقف المخجلة . . وافتراءات عـلى الله سبحانـه وتعالى وعـلى انبيـائـه الابرار . . فيصبح مثل هذا الكتاب شيئا آخر بعيدا عن الطهر والقَداسة . . وكل من يدافع عن قداسته يكون كمن يجري وراء السراب على انه ماء . . او كمن يجري في حلقة مفرغة ولا يجد في النهاية الا نفسه وحيـدا ويسقط من التعب والارهاق .

وكتاب اليهود المقدس . . فيه من المواقف المزريـة الكثير . . والكلمـات المخجلة اكثر كما الصق كَتَبَةُ هذا الكتاب بالانبياء أشياء لا تليق بالبشر العاديين هذا بالاضافة الى ما تحويه من افتراءات على الله سبحانه . . وخـرافات لا تليق إلاّ بالعبادات الوثنية . . وحكايات هي أشبه بحكايات العجائز والصبيان . . تجافي

العقل السليم ، وتناقض العلم الصحيح . . الى جانب التعصُّب الاعمى لشعب بني اسرائيل ما يجعلنا لا نمنحه أي ثقة . . ولا نضفي عليه أية قداسة . . ونستطيع أن نضرب بعض الامثلة لذلك :

فالقارىء للعهد القديم . . يخرج بانطباع عام عن الاله أنه إله بني اسرائيل وحدهم . . وأنه يشبه أمبراطوريا رومانيا تستبد به الأهواء والشهوات . . والهم مولع برائحة الطعام والشراب . . ويلحقه التعب ويستبد به النوم . .

جاء في سفر زكريا ١٣/٢ (اسكتوا يا كُلَّ البشر قُدام الربّ . . لأنـه قد استيقظ من مسكن قدسه) .

أما ندمُ الله وأسفه على أفعاله فقد تكرر مرات عديدة . . (فحزن الرب على أنه عمل الإنسان في الأرض . . وتأسف في قلبه) سفر التكوين ٧٠٦/٦ ثم عاد فندم على ندمه . . دعاه إلى الرضا عن البشر جميعا حينما قـدموا إليـه الضحايـا المحروقة على المذبح . . (فتنسم الرب رائحة الرضا وقال الرب في قلبه لا اعود العن الأرض أيضا من أجل الإنسان) (سفر التكوين ٨ /٢١) .

وذكروا في التلمود ـ الذي تفوق قداسته قداسة العهد القديم عند اليهود أن الرب حينما يبكي وتسقط من عينيه دمعتان في البحر فيسمع لَهُـما دوي في الآفاق وتضطرب المياه وتـرتجف الأرض فتنجم عن ذلك الـزلازل !! ويردد الله اثنـاء بكائه : تبا لي أموت بخراب بيتي وأحراق الهيكل وتشريد أولادي ـ يقصد بهذا بني اسرائيل .

أما تلويثهم لسمعة الأنبياء فمن أمثلته : ما ورد في التلمود عن آدم وحواء انهما عاهران فاجران . فقد كان آدم يزني بشيطانـة اسمها (ليليت) مـدة مائـة وثلاثين سنة . . فانجب منها شياطين . . وكانت حواء في هذه المدة تبيح نفسها لذكور الشياطين فتنجب منهم الشياطين أيضا . . ونوح ـ عليه السلام ـ يغرق في السكر حتى تنكشف سوءته (التكوين ٢١/٦) . .

ولوط ـ عليه السلام ـ يعاقر الخمر ويزني بابنتيه وينجب من كل منهما جداً لشعب عظيم . . (التكوين ١٩/ ٣٠ ـ ٣٨) ويعقوب عليه السلام يخدع أباه ويسرق بركته ويسلب حق أخيه (التكوين ١٩/ ٢١) ويصارع الرب . . حتى يكاد يصرعه : (التكوين ٣٢/ ٢٣) وارجع لكتاب (فجر الضمير) ص ٣٦٢ للعلامة (جيمس هنري برستد) ولكتاب (مصر والعراق ج ١ ص ٣١٠) للأستاذ الدكتور عبد العزيز صالح . . ولكتاب (الأدب المصري القديم جـ ٤ ص ١١٠) للأستاذ الكبير سليم حسن لترى الأصول التي استمد منها كتاب العهد القديم نصوصه . . وصدق الله العظيم اذ يقول :

(أفتطمعون ان يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون) .

وقال سبحانه : ﴿ **من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه** . . ﴾ إلى قوله سبحانه : ﴿ **ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا** ﴾ وقال ابن عباس ـ رضي الله عنه (كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزل على رسول الله ﷺ أحدث . . تقرءونه محضا لم يُشب . . وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدلوا كتاب الله وغيروه . . وكتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا : هو من عند الله . . ليشتروا به ثمنا قليلا . . الا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مُساءلتهم؟ لا والله . . ما رأينا منهم رجلاً يسألكم عن الذي أنزل عليكم . . » أورده البخاري في باب (لا تسألوا اهل الكتاب عن شيء جـ ٩ ص ١٣٦ ط دار الشعب بمصر) .

لكل ما سلف لا يصلح العهد القديم لأن يكون حاكما على العقل وهاديا له . . لمناقضته للعقل ولكونه ديانة خاصة لبني اسرائيل . . فلننظر اذن في (النصرانية) في العهد الجديد . . وفي الواقع لم تكن المسيحية اسعد حالا من اليهودية فقد كانت الظروف التي مرت بالنصارى أسوأ ظروف مرت بدين . . واجتمعت عليهم عوامل أفسدت عليهم دينهم وبدلته من دين سماوي الى دين

وضعي نبت وغُذِّيَ بأفكار بشرية وثنيَّة . .

ويرى علماء مقارنة الأديان أن أهم العوامل التي انحرفت بهذا الدين وبدلته من دين سماوي إلى وثني ثلاثة وهي :

١ ــ الاضطهادات التي نزلت بالمسيحيين مدة تجاوزت الثلاثمائة سنة فأدت إلى ضياع الأنجيل الصحيح .
٢ ــ الوثنيات والفلسفات التي كانت تملأ العالم في ذلك الوقت . . والتي كان يمكن أن يقل او ينعدم تأثيرها لو كان هناك الأنجيل الصحيح . .
٣ ــ أهواء رجال الدين الذين باعوا دينهم بدنيا غيرهم . .

وكتاب النصارى المقدس لدى النصارى يشمل التوراة والانجيل . . ورسائل الرسل . . . وتسمى التوراة (الأسفار الموسوية وغيرها) كتب العهد القديم. وبعض الأسفار المعتبرة عند اليهود مرفوضة عند المسحيين لعدم اعتقادهم بصحة الوحي فيها . . وتسمى الأناجيل ورسائل الرسل : العهد الجديد . . وأهم كتب العهد الجديد هي :

١ ــ انجيل متى .
٢ ــ انجيل مرقس .
٣ ــ انجيل يوحنا .
٤ ــ انجيل لوقا . .

ولفظ الانجيل مختص بهذه الأربعة وقد يطلق مجازاً على مجموع كتب العهد الجديد . . وهذا اللفظ معرب . . كان في الأصل اليوناني (انكليون) بمعنى البشارة والتعليم . . وهذه الأناجيل الأربعة هي التي تعترف بها الكنائس وتقرها الفرق المسيحية وتأخذ بها .·. ولكن التاريخ يروي لنا أنه كانت في العصور الغابرة أناجيل أخرى قد أخذت بها فرق قديمة وراجت عندها . . ولم تعتنق كل فرقة الا انجيلها . . وأجمع على ذلك مؤرخو النصرانية . . ثم ارادت الكنيسة في آخر القرن

الثـاني الميلادي أو أوائـل القرن الـرابع ان تحـافظ على الأنـاجيل الصـادقة ـ في اعتقادها فاختارت هذه الأناجيل الأربعة من الأناجيل الرائجة ابان ذلك . .

وهذه الأناجيل الأربعة لم يملها المسيح ـ عليه السلام ـ ولم تنزل عليه هـو بوحي أُوحي اليه . . ولكنها كُتبت من بعده . . وتشتمل على أخبار يحيى (يوحنا المعمدان) والمسيح . . وما كان منه . وما احاط بودلاته من عجائب وغرائب وما كان يحدث منه من أمور خارقة للعادة ولا تحدث مِن سواه من البشر . . وما كان يجـري بينه وبـين اليهود ومـا كان يلقيـه من أقـوال وخـطب وأحـاديث وأمثـال ومواعظ . . وفيها قليل من الشرائع التي تتعلق بالزواج والطلاق ثم أخبار المؤامرة عليه واتهامه والقبض عليه . . ومحاكمته سواء أكانت تلك المحاكمة أمام اليهود أم أمام الرومان ثم فيها الحكم عليه بالموت صلبا وصلبُه بالفعل ـ كما يعتقدون ـ وفيها أيضا قيامه من قبره ومكوثه أربعين يوما ثم رفعه الى السماء . . إلى غير ذلك . . مما يتعلق بأخبار المسيح ـ عليه السلام ـ وأحواله .

والكتاب الديني لأجل ان يكون حجة يجب ان تتوافر فيه شروط ذكرنا بعضها سابقا . . منها :

١ ــ أن يكون الرسول الذي نسب اليه قد علم صدقه بلا ريب ولا شك . . وأن يكون قد دعم الصدق بمعجزة أي : بأمر خارق للعادة قد تحدى به المنكرين الكذابين . وان يشتهر أمر ذلك التحدي وهذا الاعجاز ويتوارثه الناس خلفا عن سلف . . ويتواتر بينهم تواتراً لا يكون للانسان مجال لتكذيبه .
٢ ــ أن لا يكون ذلك الكتاب متناقضا مضطربا يهدم بعضه بعضا فلا تتعارض تعليماته . . ولا تتناقض اخباره . . بل يكون كـل جزء منـه متمما لـلآخر ومكملا له . . لأن ما يكون عن الله لا يختلف ولا يفترق . . ولا يتناقض . . بل أن العقلاء من الناس يتحرون الا يتناقض قولهم ولا يختلف تفكيرهم .
٣ ــ أن يدعي ذلك الرسول أنه أوحي له به . . ويدعم ذلك الادعاء بـالبيِّنات

الثابتة . . وهي المعجزات التي بعث بها الرسول . . ودعا الى كتابه على أساسها . . ويثبت ذلك الادعاء بالخبر المتواتر .

٤ ـ ان تكون نسبة الكتاب الى الرسول الذي نسب اليه ثابتة بالطريق القطعي . . بان يثبت نسبة الكتاب إلى الرسول بحيث يتلقاه الاخلاف عن الأسلاف جيلا بعد جيل . . من غير مَظَنَّةٍ للانتحال .

وأساس ذلك التواتر ان يروي جمع يؤمن تواطؤهم على الكذب عن جمع يؤمن تواطؤهم على الكذب . . حتى تصل إلى الرسول . . بحيث يسمع كل فرد من الجمع الراوي عن الجمع الذي سبقه والذي سبقه كذلك حتى يصل إلى الرسول . . الذس اسند إليه الكتاب . . ونسب إليه . . ونزل به الوحي عليه . .

وهل الكتب المقدسة عند النصارى سواء أكانت من كتب العهد القديم (وقد بيَّنا ذلك في الصفحات السابقة) أم العهد الجديد (وهو ما سنبينه في الصفحات اللاحقة) مستوفية لهذه الشروط ؟ . . لنرى . . .

١ ـ انجيل مَتّى :

احد تلاميذ المسيح الأثني عشر . . وينسب إليه الأنجيل المعروف باسمه . . وكان حتى قبل اتصاله بالمسيح من جُباة الضرائب واسمهم في ذلك العهد عَشّارُون . . وكان متىّ جابيا في كُفُرنا حوم من أعمال الجليل بفلسطين . وكانت الجباية مهنة مزرية لأنها تحمل صاحبها على الظلم . . ثم انه مُعَين من قبل الدولة الرومانية المغتصبة . . ولكن المسيح اختاره تلميذاً من تلاميذه . . ولما رفع المسيح إلى ربه . . تفرغ للتبشير بالمسيحية في بلاد كثيرة . . وقيل إنه مات بالحبشة سنة ٧٠ م على إثر ضرب مبرح انزله به احد أعوان ملكها . . وفي رواية أخرى انه طعن برمح في سنة ٦٢ م بالحبشة . . بعد ان قضى نحو ثلاث وعشرين سَنة داعياً للمسيحية . . ومن المرجح أنه كتب انجيله بالعبرية . لأنه كتبه لليهود يبشرهم

بالمسيحية وليقرأه مؤمنوهم بها . . ولذلك قيل أنهُ كتبه بوجهة نظر يهودية . . وأنه انفرد باستعمال اللسان العبري في تحرير العهد الجديد . . فظهر المسيح بوصفه إمْسِيًا الموعود (أي المهدي المنتظر الذي ينتظره اليهود) وملك شعب اسرائيل الحقيقي . ورتبه حسب الموضوعات وليس حسب الوقائع . . فجمع اعمال المسيح وأقواله حسب مشابهاتها . . فبدا النظام الجديد كأنه تتميم للنظام القديم وليس ناسخا له . . وبذلك استحق انجيله ان يوضع في صدر العهد الجديد . . لكونه حلقة الاتصال بين العهدين القديم والجديد . . وبَيْنَ الناموس (التوراة) والانجيل .

ومن المظنون ان تدوينه كان في عهد قلوديوس قيصر الرومان . . وهذا الملك لم يكن هو الذي عاصر المسيح . . ولا الذي يليه . . بل الذي عاصر المسيح هو (طيباريوس) . . وولي من بعده (غابيوس) ومَلَك أربع سنين وثلاثة شهور . . ثم جاء من بعده (قلوديوس) ومَلَك أربع عشرة سنة . . ومن ثم يكون من المحتمل أن تدوين هذا الانجيل كان في آخر العشرة الرابعة من ميلاد المسيح . . أو في أول أو آخر العشرة الخامسة وأوائل العشرة السادسة . . ثم ترجم الى اليونانية وغلب استعمال الترجمة على الأصل . . الذي لعبت به أيدي النساخ بحيث اضحى ذلك الأصل مفقودا وذلك منذ القرن الحادي عشر .

ومن المحتمل ان (يوحنا) هو الذي ترجمه ويذهب الكثيرون الى أن المترجم مجهول . . ولا شك ان الجهل بتاريخ التدوين وبالنسخة الأصلية العبرية وبالمترجم وحالِهِ من الصلاح . . وعلمه بالدين . . وباللغتين المترجم منها والمترجم اليها . . كل هذا يؤدي الى زعزعة الثقة في هذا الأنجيل ، المعتبر الأول في العهد الجديد . .

وبالاضافة إلى ذلك فان مقابلته بالأناجيل الثلاثة وكتب العهد القديم تتبين لنا اختلافات واغلاط جعلت البعض يجزم ـ ونحن منهم ـ بعدم إلهامية هذا الأنجيل على غير ما يذهب اليه الآخرون . . فمثلاً : يذكر (متى) في نسب المسيح

أنَّ يوسف هو ابن يعقوب بينما يذكر (لوقا) في انجيله انه ابن عالي . .

ويذكر (متىّ) أن عيسى هو من أولاد سليمان بن داود . . بينما يقول لوقا أنه من أولاد ناتان بن داود . وكذلك فان جميع آباء المسيح من داود إلى جلاء بابل ملوك مشهورون عند متى . . ولكنهم عند لوقا ليسوا كذلك فيما عدا داود وناتان .

أما الفترة من داود إلى المسيح فهي عند متىّ ستة وعشرون جيلاً بينما هي واحد وأربعون جيلاً عند لوقا . . ولما كان بين داود والمسيح مدة ألفا سنة . . فعلى الأول يكون في مقابل كل جيل أربعون سنة . . وعلى الثاني خمس وعشرون . . ولابد ان يكون واحد من الاثنين مخطئاً . . أو أنها كليهما مخطئان . .

ولقد قيل أن متىّ كتب انجيله قبل لوقا . . ولكن الواضح أن انجيل متى لم يكن مشهورا ولا معتبراً في وقته . . والا فكيف يتصور ان يكتب لوقا نَسَبَ المسيح ويخالف تحرير متىّ هذه المخالفة المحيِّرة ؟

بل إن الحيرة تزداد عندما نعلم من متىّ في الباب الثاني أنَّ أبوي المسيح بعد ولادته ايضا كانا يقيمان في (بيت لحم) ويفهم من بعض كلامه ان هذه الاقامة فيها كانت نحو سنتين . . وجاء المجوس هناك . . ثم رحلا إلى مصر . . وأقاما فيها حياة هيرودس فلما مات عادا وأقاما في الناصرة . .

ويعلم من كلام لوقا أن أبوي المسيح بعد ما تمت مدة نفاس مريم ذهبا إلى اورشليم وقدما الذبيحة وعادا إلى الناصرة وأقاما فيها . . وكانا يذهبان منها الى اورشليم أيام العيد من كل عام وأقام المسيح في السنة الثانية عشرة ثلاثة أيام في أورشليم دون ان يعلم أبواه . . وكما يقول لوقا : : لا سبيل لمجيء المجوس إلى بيت لحم . . بل لو فرض مجيئهم لكان إلى الناصرة لأن الطريق إلى بيت لحم بعيد . . وكذا لا سبيل لذهاب أبويه إلى مصر واقامتهما فيها . . لأن يوسف في رأيه لم يترك (اليهودية) لا إلى مصر ولا إلى غيرها . .

وفي الباب الثامن كتب متى أن عيسى لمّا جاء الى كورة الجدريين استقبله مجنونان خارجان من القبور فشفاهما . . وكتب (مُرقس) في الباب الخامس ولوقا في الباب الثامن أنه استقبله مجنون واحد خارجا من القبور فشفاه . .

وفي الباب الحادي عشر جعل مرقس الحوار بين المسيح ورؤساء الكهنة في اليوم الثالث من وصوله إلى أورشليم . . بينما أورد متى هذا الحوار في الباب الحادي والعشرين في اليوم الثاني .

وفي الباب الحادي عشر كذلك . . قال متى : أن يوحنا كان لا يأكل ولا يشرب بينما ذكر مُرقس في الباب الأول أنه كان يأكل الجراد والعسل البري ـ ويقول متى في الباب الخامس عشر أن المرأة المستغيثة لاجل شفاء ابنها كانت كنعانية . . بينما يقول مرقس في انجيله في الباب السابع انها كانت يونانية .

واختلف الانجيليون الثلاثة مع متى في بيان إنكار بطرس . . فقال متىّ ان من ادعى على بطرس انه من تلاميذ عيسى : جاريتان والرجال قيام وقال لوقا : بل أمةٌ ورجلان . . وقال متىّ : إن بطرس كان في ساحة الدار عندما سئلت الجارية . . وقال لوقا : : في وسط الدار وقال مرقس بل أسفل الدار . . وقال يوحنا : داخل الدار . .

وكتب متى أنَّ اللصين اللذين صلبا مع المسيح كان يعيّرانِهِ . . وكتَب لوقا أن احدهما عيَّره والآخر زجره . .

قال متىٰ على لسان عيسى في حق بطرس (وأنا أقول لك ايضا انت بطرس ، وعلى هذه الصخرة أبن كنيستي ، وابواب الجحيم لن تقوى عليها . . وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات ، فكل ما تربطة على الارض يكون مربوطا في السموات . . وكل ما تحله يكون محلولا في السموات . .) ومع ذلك وصف متىٰ ثانية بطرس على لسان المسيح ايضا بعد ذلك بثلاثة اسطر . . (اذهب خلفي يا

شيطان . . فقد صرت لي شكا . . لأنك لا تفطن لما لله . . لكن لما للناس . .)
فكيف يكون شيطانا وشكا للمسيح ومع ذلك يكون الصخرة التي يبني عليها كنيسته والتي لا تقوى عليها ابواب الجحيم ؟ !

وفي رواية المرأة التي افرغت قارورة الطيب على عيسى . جعل متىٰ الواقعة في بيت سمعان الأبرص . . بينما جعلها يوحنا في بيت مريم . . وقال متى : ان المرأة افاضت الطيب على رأس يسوع وذكر يوحنا انه كان على القدمين . .

وافاد متىٰ ان المعترضين كانوا تلاميذ المسيح وأكد مرقس انهم كانوا اناسا من الحاضرين وقال يوحنا ان المعترض كان يهوذا وفي الباب السابع والعشرين قال متىٰ ان المسيح صرخ إلهي إلهي لماذا تركتني . . بينما قال لوقا في الباب الثالث والعشرين : يا ابتاه في يديك استودع روحي . .

وبالاضافة الى هذه الاختلافات الظاهرة بين الانجيليين الاربعة الامر الذي يزعزع الثقة فيها لا محالة . . ومنها انجيل متىٰ الذي نحن بصدده . . توجد اغلاط كثيرة . . منها :
في الاية الثالثة عشر من الباب الاول من انجيل متىٰ ان أبيهود بن زُوربابل وهو غلط . . لأن زوربابل كان له خمسة ابناء كما هو مصرح في العبارة التاسعة عشرة من الباب الثالث من السفر الاول من اخبار الايام . . وليس فيهم احد بهذا الاسم .

وفي الباب الاول ايضا يذكر متىٰ ان العذراء تحبل وتلد ابنا يدعون اسمه (عمانوئيل) الذي تفسيره الله معنا . وهو غلط لانه لم يُعرف أن احد اسماء عيسى عمانوئيل .

وفي العبارة السادسة عشرة من الباب الثاني كتب متىٰ ان هيرودس لما سخر منه المجوس ارسل وقتل جميع الصبيان الذين في بيت لحم وفي كل تُخومها . . من ابن سنتين مما دون ذلك بحسب الزمان الذي تحققه من المجوس . . وهو افتراء

واضح لانه لم يحدث ان كتب أحد من مؤرخي اليهود المعتبرين ان حادثة جسيمة كهذه وقعت . . ولوكانت قد وقعت لاوردها (يوسيفوس) مؤرخهم على كثرة ما تصفح من عيوب هيرودس وجرائمه .

وفي العبارة الثالثة والعشرين من الباب الثالث كتب متىٰ (وأتى وسكن في مدينة يقال لها ناصرة . . لكي يتم ما قيل بالانبياء انه سيدعى ناصريا وهذا غلط . . لانه لا يوجد في كتاب من كتب الانبياء هذه النبوءة . . وينكرها اليهود اشد الانكار . .

وفي العبارة الثالثة من الباب الرابع عشر يقول متىٰ (فان هيرودس كان قد امسك يوحنا وطرحه في السجن من اجل هيروديا امرأة فيلبس اخيه) وهو غلط لان اسم زوج هيروديا كان هيرودس ايضا لا فيلبس كما صرح (يوسيفوس) في الباب الخامس من الكتاب الثامن عشر من تاريخه .

وفي العبارة الثامنة والعشرين من الباب التاسع عشر يقول متىٰ : (فقال لهم يسوع : الحق اقول لكم انتم الذين تبعتموني في التجديد متى جلس ابن الانسان على كرسي مجده تجلسون انتم ايضا على اثنى عشر كرسيا) فشهد عيسى للحواريين الاثنى عشر بالفوز والنجاة والجلوس على اثنى عشر كرسياً . . وهو غلط . . لان يهوذا الاسخريوطي واحد من الاثنى عشر . . وقد ارتد ومات مرتداً على ما ذكر متىٰ . . فلا يمكن ان يجلس على الكرسي الثاني عشر . . أو تكذب نبوءة المسيح . .

ولو نظرنا في (انجيل مرقس) . . لوجدنا ايضا الاغلاط والتناقضات الكثيرة . . ومرقس هذا من الحواريين الاثنى عشر الذين تتلمذوا للمسيح واختصهم بالزلفى اليه . . وهو من اوائل الذين اجابوا دعوته فاختاره من بين السبعين الذين نزل عليهم (روح القدس) في اعتقادهم من بعد رفعه والهموا بالتبشير بالمسيحية كما الهموا مبادئها واختلفوا في تحديد تاريخه فقيل انه ربما كتب عام ٦٥ أو ٦٨ م وقالوا : ان جزءه الاخير وجد في بعض المخطوطات القديمة . .

ولم يوجد في البعض الآخر . . مثل المخطوطة السِّينيائية ومخطوطة الفاتيكان . . واختلفوا في كاتبه . . هل هو بطرس أم مرقس بارشاد بطرس واختلفوا في زمن كتابته هل كان خلال حياة بطرس أو بعد وفاته ووفاة بولس واختلفوا في حجمه والحوادث التي تضمنها . . ومن ذلك : ما كتبه مرقس في الفصل الاول إذ يقول :ـ (كما هو مكتوب بأشعيا النبي هاأنذا مُرسل ملاكي أمام وجهك يهيء طريقك قدامك) ويقول المفسرون أنه نقلها من الاية الأولى من الباب الثالث مِن كتاب (ملاخيا) (هأنذا مرسل ملاكي فيهيء الطريق أمامي) وبين المنقول والمنقول عنه اختلاف بوجهين . . أولا : ان (امام وجهك) غير موجودة في الاصل . والثاني : ان كلام ملاخيا بضمير المتكلم ونقل عنه مرقس بضمير الخطاب . . وينسب البعض هذه المخالفة الى وقوع التحريف في النسخ القديمة .

وفي قصة ابنة الرئيس يختلف انجيل مرقس عن انجيل متىٰ . . فعند متىٰ يجيء الرئيس الى عيسى ويقول ان ابنتي ماتت . . وعند مرقس يجيء قائلا ابنتي قاربت الموت . . فذهب عيسى معه . . فلما كانوا في الطريق جاءت جماعة الرئيس فاخبروه بموتها . .

ويُعلم من الآية العاشرة من الباب العاشر من انجيل متىٰ والآية الثالثة من الباب التاسع من انجيل لوقا : أن عيسى لما ارسل الحواريين كان قد منعهم من اخذ العصا . . ويعلم في الآية الثامنة من الباب السادس من انجيل مرقس انه كان قد اجازهم لأخذها . .

وفي الباب السابع كتب مرقس ان عيسى أبرأ واحداً كان أصم وابكم وبالغ متىٰ في الباب الخامس عشر فجعل هذا الواحد جمعا غفيرا وقال يوحنا واشياء اخرى كثيرة صنعها يسوع . . إن كُتِبت واحدة واحدة فلست اظن ان العالم نفسه يسع المكتوبة .

وروى مرقس ان المسيح قال : قبل ان يصبح الديك مرتين تنكرني ثلاث

مرات . . بينما بحسب رواية (متى ولوقا) انه قال : تنكرني ثلاث مرات . وفي العنوان الذي كتبه بيلاطس ووضعه على الصليب في الاناجيل الاربعة أن مرقس قال : ملك اليهود . . ومتىٰ قال : هذا هو يسوع ملك اليهود . . ولوقا قال : هذا هو ملك اليهود ويوحنا قال: يسوع الناصري ملك اليهود . والعجب ان لا يبقى هذا الامر البسيط محفوظا عند الانجيليين الاربعة فكيف يعتمد على حفظهم في الاخبار الطويلة ؟ !

ولقد اتفق مرقس مع الانجيليين الثلاثة في اسماء احد عشر من الحواريين ولكنه اختلف معهم في اسم الثاني عشر فقال انه : تداوس . . بينما ذكر متىٰ انه : لباوس الملقب بتداوس . وقال لوقا : انه يهوذا اخو يعقوب . . !

وفي رواية العشاء الرباني ذكر مرقس في الباب الرابع عشر كأسا واحدة . . بينما ذكر لوقا كأسين . . واحدة على العشاء واخرى بعده . وفي رواية الصلب . . ذكر مرقس في الباب الخامس عشر انه تم في الساعة الثالثة . . وصرح يوحنا في الباب التاسع عشر انه كان الى الساعة السادسة عند بيلاطس . .

ثم ذكر مرقس ان المسيح صرخ بصوت عظيم : الهي الهي لماذا تركتني ! بينما قال لوقا انه نادى بصوت عظيم وقال : يا أبتي في يديك استودع روحي . .

ومن كل ما سلف نتبين ان مرقس لم يكن معصوما عن الخطأ والنسيان وكذلك لم يكن معصوما في التبليغ والتحرير . . وأن انجيله من ثَم لم يكتب بالهام المسيح لأن الغلط لا يصح ان يكون الهاميا ومن جانب الله . . وهو يوجد في هذا الانجيل بلا ريب . . وكما عرفنا او انه يوجد في ثلاثة من الاناجيل . . لأن الاربعة تتضارب اقوالهم وليسوا على اتفاق . . .

ولا يخرج (انجيل يوحنا) عن كونه مثل بعض كتب التوراة التي لا رابطة بينها وبين من نسبت اليه . . ولا تقل تناقضاته واغلاطه عن بقية الاناجيل . .

ويوحنا الذي ينسب اليه هذا الانجيل هو (يوحنا بن زبدي) وليس (يوحنا المعمداني) الوارد ذكره في القرآن (يحيىٰ بن زكريا) . . وهذا الانجيل من اخطر الاناجيل الاربعة باتفاق الاراء . . لأنه الانجيل الذي يتضمن ذكراً صريحا لالوهية المسيح . . فهذه الالوهية هو نص اثباتها وركن الاستدلال فيها . . وهو موضع مخالفتها لديانات التوحيد واساس التباين بين هذه الديانة وتلك الديانات .

وقد رد العلماء احدى عشرة آية من اول الباب الثامن لم توجد في الترجمة السريانية . . وعندما كتبوا شروحا على هذا الانجيل لم يشرحوا هذه الآيات ولم ينقلوها في شروحهم . . وتحيروا في تفسير الاختلافات بين آيات هذا الانجيل والاناجيل الثلاثة الاخرى . . ففي الباب الاول منه : ارسل اليهود الكهنة واللاويين يسألون يوحنا المعمدان : من انت ؟ وقالوا : أأنت ايليا ؟ فقال : لست انا بإيليا .

وفي الآية الرابعة عشرة من الباب الحادي عشر من انجيل متىٰ ورد قول المسيح في حق يوحنا المعمدان (وان اردتم ان تقبلوا فهذا هو ايليا المزمع أن يأتي) وفي الباب السابع عشر من انجيل متىٰ سأله تلاميذه قائلين فلماذا يقول الكتبة ان ايليا ينبغي ان يأتي أولا فاجاب يسوع : ان ايليا يأتي اولا ويرد كل شيء ولكن اقول لكم ان إيليا قد جاء ولم تعرفوه . . بل عملوا كل ما ارادوا . . حيئذ فهم التلاميذ انه قال لهم عن يوحنا المعمدان)

فَعُلِمَ من العبارتين ان يوحنا المعمدان قد انكر انه ايليا بينما أكد المسيح انه ايليا : فلزم التناقض في قول يوحنا والمسيح . وفي الباب التاسع عشر كتب يوحنا (فأخذوا يسوع ومضوا به فخرج وهو حامل صليبه الى الموضع الذي يقال له موضع الجُمجُمة حيث صلبوهُ) وكتب لوقا في الباب الثالث والعشرين : (ولما مضوا به امسكوا سمعان . . رجلا قيروانيا كان آتيا من الحقل ووضعوا عليه الصليب ليحمله خلف يسوع)

وفي الآية الثالثة عشرة من الباب الثالث قال يوحنا (ليس احد صعد الى السماء الا الذي نزل من السماء ابن الله هو الذي في السماء . .) وهذا غلط لان أخنوخ وايليا رفعا الى السماء وصعدا اليها كما هو مصرح في الباب الخامس من سفر التكوين والباب الثاني من سفر الملوك الثاني .

ولكل هذه الاسباب التي ذكرناها والتي لم نذكرها قيل ان يوحنا الحواري لايمكن ان يكون كاتب هذا الانجيل . . لان الاناجيل قيل انها كتبت بوحي من الله . . ولا يمكن ان يكون الوحي من الله ويخطيء كاتبه . .

وقيل ان يوحنا هذا كتبه لغرض خالص . . وهو ان بعض الناس كانت قد غلبت عندهم فكرة ان المسيح ليس بإله . . وان كثيرا من الفرق الشرقية كانت تقرر ذلك . . فَطُلِبَ إلى يوحنا ان يكتب انجيلا يتضمن بيان هذه الألوهية . . فكتب هذا الانجيل .

وبعد : هذه بعض المتناقضات بين هذه الكتب بعضها مع بعض ونكتفي بما أوردناه ونحيل من يريد الاستزادة من القرّاء الى كتاب (إظهار الحق) للعلامة الشيخ (رحمة الله الهندي) ـ والذي حققه العلامة الدكتور احمد حجازي السقا وطبعه في مصر ـ فقد اتي بأكثر من مائة اختلاف بين هذه الكتب المقدسة عند المسيحيين . وجَبَه بها مناظريه فلم يحيروا جوابا . . ولم يستطيعوا خطابا . فليرجع إليه القارىء المستزيد . . فسيجد الغريب .

ومن كل ما سلف نقول بثقة ان المسيحة لا تتفق والعقل لتكون حاكما عليه وهاديا له . . والمجتمعات المسيحية الآن ـ ان صح هذا التعبير ـ لا تحكمها المسيحية . . والنظم فيها لا تعتمد على العقيدة المسيحية . . . بعد ما تم فصل الدين عن الدولة . . وانما تعتمد على القوانين الوضعية . . كما ان المسيحية لم تتضمن شريعة تنظيم المجتمع عن طريق القانون . . ومن هنا ذهبت كل دعوات المسيحية إلى السماحة الانسانية هباء . . وغلبتها روح الاستعمار الخبيثة .

وقبل ان ننهي هذا الفصل نود أن نشير الى أن بعض النصارى يضعون آيات القرآن الكريم في غير موضعها ليستدلوا بها على صحة عقيدتهم فتراهم يقولون : الم يقل الله تعالى في سورة التحريم (ومريم ابنة عمران التي احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا . . . الآية)

وكذلك في سورة النساء (﴿ **انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه . . الآية** ﴾

فاذا كان المسيح روح الله بحكم هاتيْن الآيتَين فلابد ان يكون في مرتبة الالوهية . . لأن روح الله لا يكون اقل من الله . . ونجيبهم على ذلك من وجوه :

أولا : ان الله سبحانه وتعالى قال مثل هذا القول في حق المخلوقات كلها حيث قال : ﴿ **وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه** ﴾ فلو كان معنى (روح منه) روح بعض منه أو جزء منه . . فيكون معنى (جميعا منه) ايضا مثله . . فيلزم ان تكون جميع المخلوقات آلهه . . !! وهذا لا يقول به عاقل . . ولو نظرنا الى آية سورة النساء التي استشهدوا بها على صحة معتقدهم لوجدناها تلومهم وتشهد عليهم لا لَهُم . . . فالاية تقول قبل قوله تعالى (روح منه) ما نصه « يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلاّ الحق » وهذا تشنيع على المسيحيين لغلو اعتقادهم في حق المسيح عليه السلام . . ووقع بعد اللفظ المذكور (روح منه) ما نصه ﴿ **ولا تقولوا ثلاثة . . انتهوا خيرا لكم . انما الله اله واحد سبحانه ان يكون له ولد** ﴾ وهذا القول يلومهم في اعتقاد التثليث واعتقاد كون المسيح ابن الله . . أو ان الله هو المسيح ابن مريم . .

ومثل هذا القول . . قوله سبحانه : ﴿ **لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة . .** ﴾ وكقوله سبحانه ﴿ **ما المسيح ابن مريم الا رسول . .** ﴾ . .

اما قول النصارى (ان روح الله لا يكون اقل من الله) فمردود لأن الله سبحانه قال في سورة السجدة في حق آدم عليه السلام ﴿ **ثم سواه ونفخ فيه من**

روحه ﴾ وقال في سورة الحجر وسورة ص في حقه أيضا : ﴿ **فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين** ﴾ فاطلق الله سبحانه على النفس الناطقة التي كانت لأدم ـ عليه السلام ـ أنها روحه . . وروحي . . وقال في سورة مريم في حق جبريل ـ عليه السلام ـ ﴿ **فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سوياً** ﴾ والمراد بروحنا ههنا جبريل . .

ووقع في الفقرة الرابعة عشرة من الاصحاح السابع والثلاثين من سفر حزقيال قوله في خطاب الوف من الناس الذين احياهم بمعجزة حزقيال هكذا (فاعطي فيكم روحي) فأطلق ههنا ايضا على النفس الناطقة الانسانية انها (روحي) فيلزم ان تكون هذه الألاف آلهة بحكم سفر حزقيال . ويكون ادم وجبريل الهين بحكم القرآن . .

والحق ان المراد بالروح في قوله تعالى وروح منه ـ النفس الناطقة الانسانية . . والمضاف محذوف اي : ذو روح منه . . وفي تفسير الجلالين : وقوله (روح منه) اي : ذو و روح منه . . اضيف اليه تشريفا . . وفي تفسير البيضاوي : وذو روح صدر منه لا بتوسط . .

ومن النصارىٰ من يقول : ان عيسى عليه السلام خلق من غير أب . . وهذا يدل على أنه اله . . ونقول : ان الله سبحانه وتعالى خلق عيسى عليه السلام من غير أب . . كما خلق ادم من تراب . وقد حملت بعيسى امه ولم تحمل بآدم انثى ولا ذكر . . فاذا لم يكن آدم الها وهو الاب الاول . . فعيسى اولى بأن لا يكون الهاً . وهو من ذرية آدم وولده . . وقد ظهر على ايدي سائر الرسل عليهم السلام من الآيات الواضحة والمعجزات الباهرة مثل ما ظهر على يدي عيسى عليه السلام واكثر فلو جاز ان يدعي لعيسى بشيء مما ظهر على يديه من احياء ميت وابراء أكمة وابرص بأنه ابن لله . . لجاز أن يُدَّعىٰ ذلك لابراهيم عليه السلام . لما ظهر على يديه من سلامته من النار بعد ان قذف بها ولم ينج عيسى من عدد يسير من الناس

راموا بزعمهم صلبه وقتله وكذلك ان قلب العصا حيَّة ابعد في العقل من اعادة الميت حياً لان المشاكله بين الخَشْبْ وبين بدن الثعبان معدومه فاذا لم يوجب قلبُ العصا حيَّةكون موسى الهاً ولا ابنا للاله . . فبأن لا يدل احياء الموتى على الالهية كان ذلك أولى . .

ويحكي أن بعض العلماء أسر على ايدي الروم . . فقال لهم : لم تعبدون عيسى ؟ فقالوا له : لانه لا أب له

قال : فادم اولى لانه لا ابوين له . .

قالوا : كان يحيي الموتى . .

قال : فحزقيل اولى لأن عيسى احيا اربعة انفس . . وأحيا حزقيل ثمانية الاف .

فقالوا : كان يبرىء الأكمة والأبرص . .

قال : فجرجيس أولى لانه طبخ وأحرق ثم قام سالما . .

ونعيد ما قلناه آنفاً لِنختم هـذا الفصل فنقـول : ان شريعـة النصارىٰ لا تنسجم مع العقل . . ولا يتقبلها.لذلك ابعدها المؤمنون بها عن مجالات السياسة والحكم . . وفصلوا الدين عن الدولة . . وهذا احد رجال الكنيسة في بريطانيا وهو الدكتور (جون روبنسون) يعترف في كتابه (الحرية المسيحية في المجتمع المتهاون)

(Christion freedomin a permissive society S. C. M. Perss)

بما يلي :

(ان الدين المسيحي قد فقد كل سيطرة على مخيلة المجتمع الغربي الحديث لدرجة ان نسبة متزايدة من الناس في انجلترا - التي يصفها بانها اصبحت بلادا وثنية - ينشدون السلوى والعزاء وقت الازمات والشدائد عند المهرجين وفي موسيقى الجاز الصاخبة اكثر مما ينشدونها عند المسيح وفي الكنيسة . .)

مما يبيِّن لنا خطورة الازمة النفسية التي يعاني منها الضمير المسيحي المعاصر . فلم يبق الا الشرع الاسلامي .

ولننظر لنرى هل هو جدير بأن يكون حاكماً على العقل وهاديا له أم لا . . ؟ فالقرآن الكريم . . خاتمة الكتب السماوية والناسخ لها . . كتاب المسلمين المقدس . . لم يظهر حتى الآن أي اختلاف على الاجماع بأن الذي جاء بالقرآن شخصية حقيقية اسمه (محمد) ونزل عليه باسلوب عربي مبين . . فهذا الكتاب اما ان يكون من عند محمد ﷺ او من عند العرب او من عند الله تعالى . . .

اما انه من عند العرب : فباطل . وذلك لانه تحداهم ان يأتـوا بمثله . . وثبت انهم حاولوا وفشلوا واقروا بفشلهم فهو اذن ليس من عندهم . . ولو انهم استطاعوا لاراحوا انفسهم من عناء القتال وخوض الحـرب الداميـة التي سالت الـدماء فيهـا انهارا في بطاح وسفـوح جبال الجـزيرة العـربيـة. وامـا انـه من عند محمد ﷺ لأن محمدا من العرب . . ومهما سمي العبقري فهو من البشر . . وواحد من مجتمعه وامته . . ومادام العرب عجزوا ان يأتوا بمثله فيصدق على محمد العربيٍّ ما يصدق على العرب . . وهو انه لا يستطيع الإتيان بمثله عدا انه لم يدَّعِ انه من عنده . . ولم يَدَّعِ احد ممن عايشوه وصاحبوه وجاءوا بعده بقرون طويله انه من عنده . .

وهناك احاديث رويت بالتواتر مما يستحيل معها إلاّ التصديق بها . . فاذاقورنت هذه الاحاديث بـالقرآن لا يـوجد بينهـا أي تشابـه سوى في استعمـال الحروف العربية . . وكان يقول الآية ويقول ضعوها في سورة كذا . . ويقول الحديث في نفس الفترة . . واذا قورن كلام محمد بالقرآن لا يظهر اي تشابه بين الكلامين من ناحية البلاغة والاسلوب . . فدل ذلك على ان القرآن ليس كلام محمد . . وهو ما يثبت انه كلام الله .

على ان جميع الشعراء والكتاب والفلاسفة والمفكرين في العالم . . يبدأون بالاسلوب فيه بعض الضعف ثم ياخذ اسلوبهم في الارتفاع الى ان يصلوا الى ذروة قدرتهم . . ولذلك يكون اسلوبهم مختلفا قوة وضَعْفاً . . فضلا عن وجود بعض الافكار السخيفة والتعابير الركيكة في كلامهم . . في حين نجد القرآن الكريم في

اول يوم نزلت فيه اول آية ﴿ **اقرأ باسم ربك الذي خلق** ﴾ الى أخر آية ﴿ **اليوم اكملت لكم دينكم** ﴾ في الذروة من البلاغة والفصاحة وعُلُوٍّ الافكار وقوة التعبير . . ولا تجد فيه تعبيرا واحدا ركيكا ولا فكرة واحدة سخيفة . . بل هو قطعة واحدة . . في السمو والاشراق والبلاغة . ومع أن الأحاديث الصحيحة نطق بها الرسول محمد ـ ﷺ ـ وهو لا ينطق عن الهوى إن هو الاّ وحيٌ يوحىٰ . . إلا نه لا يوجد تشابه بين الكلامين من نواح كثيرة وهذا ما يثبت ان القرآن كلام ربّ العالمين . . . ثم ان كلا من القرآن والحديث وصلا الينا بسند متصل لا يعتريه شك كما بينت ذلك كتب علوم القرآن والحديث . . ثم ان هذا الاسلام الذي دعا اليه الرسول ـ ﷺ ـ يعرف من الكتاب والسنة المعتمدة عند علماء نقد الروايات . . وما لا يعرف من الكتاب والسنة صراحة يعرف استنباطا . . يعرفه مجتهدو الامة الاسلامية . . . وقد جعله الله سبحانه هداية كاملة للانسان والناس . . لا للعرب او لفئة او طائفة محدودة . . وجعله كاملا شاملاً بحيث لاتبقى قضية من قضايا الوجود إلا وقد بَيّنً حكمها فيه اباحة او حرمة او كراهة او سنية او وجوبا او فريضة . . سواء في ذلك شئون العقيدة او العبادة او السياسة والاجتماع او الاقتصاد او الحرب او السلم او التشريع الى آخر ما يتصوره الانسان من شئون الانسان . . . قال تعالى واصفا كتابه ﴿ **ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء** ﴾ لقد بين الكتاب والسنة قضايا العقيدة والعبادة والمال والاجتماع والحرب والسلم والتشريع وقضايا العلم والتعليم والثقافة والحكم والسلطان . . وقد عبر عن ذلك فقهاؤنا بقولهم : ـ

(اعلم ان مدار امور الدين على الاعتقادات والاداب والعبادات والمعاملات والعقوبات) ولا نجد قضية من قضايا الوجود البشري الا وللاسلام فيها حكم . . . ومجموع هذه الاحكام هي بناء الاسلام الذي يقوم فوق اركانه . ولا اريد الافاضة في مثل هذه الامور التي يعرفها كل من كان له قلب وعقل . . ولكني ساختم كلامي بالقول : بان من الامور الهامة الذي تمخضت عنه تطورات العصر الحديث . . هو الاحوال العلمية التي اكدت على (معقولية الاسلام) ـ من ضمن

ما اكدت عليه ـ دون سواه من الاديان ـ التي ألقينا الضوء عليها والتي لم نذكرها ـ من ناحيتين : ـ

أولا : ـ المعقـولية التـاريخيـة . . . (Historical credibility) فقـد بـدأ البـاحث العصري يدرس الاديـان في ضوء التـاريخ . . فـوجد المنصف منهم ان الـدين الاسلامي هو الوحيد من سائر الاديان الذي يعتبر موثوقا به ومعقولا من الناحية التاريخية . . اما الاديان الأخرى فهي من وجهة نظرهم لا تعدو ان تكون اساطير تقليدية . . والمسيحية احدث دين تاريخيا بعد الاسلام . . فقالوا انه لا يوجد توثيق تاريخي للمسيحية خارج الاناجيل المشكوك في صحتها . . ان السيد المسيح ـ عليه السلام ـ كان نبيا من انبياء الله من غير شك طبقا لايماننا كمسلمين . . ولكن فيما يتعلق بالتاريخ البشري المدَوَّن فلا توجد شواهد تاريخية لاعتبار المسيح عليه السلام شخصية تاريخية بالمفهوم التاريخي العادي . . بل كان الكثير من الباحثين والمؤرخين الغربيين حتى نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن العشرين ينكرون مجرد وجود السيد المسيح ـ عليه السلام ـ لانه لم يكن هناك في نظرهم دليل على وجوده في تاريخ عصره . . ماعدا الاناجيل المشكوك فيها تاريخيا . ومع انهم توصلوا في النصف الثاني من القرن العشرين الى بعض الشواهد التاريخية القديمة التي تذكر اسم السيد المسيح ـ عليه السلام ـ واحواله بصورة مقتضبة واجمالية . . الا ان هذه الشواهد لا تزال غير كافية في نظرهم . . لوضع تصور تاريخي عن حياتـه عليه السـلام . . لدرجة ان(دائرة المعارف البريطانية العامة) تقول في طبعتها الانجليزية الصادرة عام ١٩٧٧م وفي المجلد العاشر صفحة ١٤٥) ما ترجمته : (انه من الصعب ان تكتب الحياة الحقيقيَّة للمسيح بيقين) . امـا حياة رسـول الاسلام ـ ﷺ ـ فكـل مؤرخ منصف يضطر للاعتراف بان محمداً ﷺ (ولد في ضوء التاريخ الكامل) حسب قول دائرة المعارف الامريكية العامة في طبعتها الصادرة عام ١٩٦١م وفي الصفحة ٢٣٢ من المجلد ١٩) .

اما الناحية الثانية : فيمكن تسميتها بـ المعقولية العلمية . . . -scientific)

credibilitlity) فــعــنــدمــا نــدرس كــل الاديــان مــا عــدا الاسلام في ضوء الحقائق العلمية التي اكتشفت مؤخرا . . يظهر تباين شاسع بين هذه الحقائق وبين معتقدات تلك الاديان . . ويستحيل الاعتقاد بصدق هذه الاديان ـ ما عدا الاسلام كما اسلفنا ـ وساذكر مثالا واحدا لما يحدث عند مقارنة هذه الاديان بالحقائق العلمية . . يقول العالم الأمريكي (وولتر اوسكار لوندبرغ) (Walter oscar lund berg) (ان العالم بالمقارنة مع الأخرين يمتاز بميزة خاصة تؤهله لفهم حقيقة الله . . فالمبدأ الاساسي الذي يعمل العالم الطبيعي بموجبه ليس الا تعبيرا عن وجود الله) اما لماذا ينكر الناس وجود الله بعد تلقي العلوم الـطبيعية فيجيب عليـه الاستاذ المذكور بقوله : (ان فكرة الاله المخلوق على هيئة انسان ـ بدلا من فكرة انسان مخلوق على هيئة الله ـ تغرس بعمق في الشباب في المجتمعات المسيحية المنظمة . . وهذه العقول حين تدرس العلوم الطبيعية في مرحلة تاليـة تجد ان هـذا التصور المعكوس والمحدود والبشري لله . . يزداد تنافرا مع اتجاه العلوم الطبيعية العقلي الاستقرائي . . وفي نهاية الأمر حين تفشل الجهود للتوفيق وبين العقائد التقليدية وبين العلم ينبذون تصور الله نهائيا . . ا هـ) .

اما الاسلام . . فيختلف امره تماما . . فالتعـاليم الاسلاميـة تطابق جمـع الحقائق العلمية الثابتة . . ونقول بصوت مسموع بان العلم الحديث هو (علم الكلام الاسلامي العصري) فالعلوم العصرية والاكتشـافات المتـطورة تواصـل الكشف عن اسرار الكون . . وهذه الكشوف تحمل في طياتها تفسيراً لبعض معاني الايات القرآنية الكريمة التي لم تكن واضحة في اذهان الاولين من علماء التفسير . . أو فُسِّرت على غير معناها المراد . . ومن ذلك قوله تعالى : ـ ﴿ **ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه . . بلىٰ قادرين على ان نسوي بنانه** ﴾ والبنان طرف الاصبع . . فيها اشارة الى بصمات الاصابع التي اثبت العلم الحديث انها لا يمكن ان تتشابه مطلقا في عهود البشرية جمعا . . . وفي قوله تعالى : ﴿ **الذي جعل لكم من الشجر الاخضر ناراً فاذا انتم منه توقدون** ﴾ اشارة الى ان المادة الخضراء التي تختزن حرارة

الشمس في النباتات وتجعلها في قوالب كيميائية تنطلق نارا عند احتراقها كما ثبت اخيرا في تحليل تاريخ نشوء الفحم والبترول . وفي قوله تعالى ﴿ **يخلقكم في بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث** ﴾ اشارة الى الأغشية الثلاثة التي اكتشفت اخيرا بالتشريح الحديث . . ووظيفتها منع نفاذ الضوء والحرارة والماء إلى الجنين .

ومن سنوات معدودة كان العلماء اذا سمعوا عن المدنيات القديمة التي تحدث عنها القرآن في بلاد العرب من اليمنين وعاد وثمود. . يَبْسِمونَ عن سن متهكمة ساخرة . . !! حتى اذا ما حقق الكشف الذي قام به علماء الآثار امثال (جوزيف هاليفي وجلازر) وغيرهما في بعض الجهات اذا بهم يطأطئون رؤوسهم امام جَلالِهِ وصدق اخباره .

وقد ظهرت الكتب الكثيرة التي تبحث في اسرار القرآن العلمية والطبية والفلكية وغير ذلك مما يدل على ان القرآن ليس كتاب امة واحدة ولعصر معين انما هو كتاب الدهر باجمعه . . حجة الله القائمة مدى الحياة . . ونور العقول الحرة وسراجها مهما ارتقت . . وادب الطبيعة الانسانية حيث حلت وأنّى وجدت ولغة الحياة ، اذا تكلمت خشعت الاصوات لها فلا تسمع الا ركزا . . وكل ذلك يبين بوضوح انه ما كان للاسلام ان يصمد امام الحقائق العلمية الحديثة لو كان نابعا من مصدر غير موثوق به . . او كان قد تعرض للتزييف البشري على غرار الاديان القديمة الأخرى . . فلابد ان يكون مع العقل . . الشرع . . والشرع الاسلامي بالذات . . اما العقل وحده . . فما هو بالحكم الْتُرضَىٰ حكومته . . وصدق الشاعر حين قال :

الشرع اعظمُ مُرشدٍ	في ظُلمة الشُّبَهِ البهيمة
والعقل يقفوه ولو	لاهُ لكُنّا كالبهيمة
فاتبعهما ولمن لحاكَ	عليهما قل يا بَهي مَهْ

اما الفكرة الثانية من افكار بعض دعاة العلمانية .. فتدور مُطالبة أحدهم بالعلمانية .. اي فصل الدين عن الدولة .. او حسب ما ورد في انجيل متى: اعطاء ما لِقيصر لقيصر. ومالله .. لله .. وكرر مطالبته بهذه الفكرة في معظم ما كتبه في صحيفتي القبس والوطن الكويتيتين .. بصورة كريهة ومملة .. (انظر اعداد صحيفة القبس الغراء الصادرة بتاريخ ١٩/٦/٨٤ ، ١٤/٩/١٩٨٤) .. اما صحيفة الوطن الغراء .. فقد خصها بمعظم مقالاته التي كرر فيها مطالبته بهذه الفكرة .. (انظر اعداد صحيفة الوطن الغراء الصادرة بتاريخ ٢٣ ابريل ١٩٨٤ ، ٢٥ ابريل ١٩٨٤ ، ٥ مايو ١٩٨٤ ، ٢٧ مارس ١٩٨٥ ، ٢٥ ابريل ١٩٨٥ ، ٤ مايو ١٩٨٥ ، ٤ مايو ١٩٨٥ ، ٨ مايو ١٩٨٥ » اما مقاله المضحك المبكي .. فهو ما كتبه في صحيفة الوطن بتاريخ ٢٣ مايو ١٩٨٤ تحت عنوان بارز (فصل المقال .. وتقرير ما بين العلمانية والشريعة من الانفصال) فكان كمن فسَّر الماء بعد الجهد بالماء .. ومن قال لك بان هناك اتصال بين المتناقضات .. اي الشريعة والعلمانية ؟!

والذي قال في نهايته : - (وما كنت لاؤكد على هذين المبدأين الا لانني اود تجنيب مجتمعنا الكويتي - على الاقل - مساوىء مجتمعات عربية واسلامية كثيرة) .. وهنا نَسألِ الاستاذ الدكتور : هل من الموضوعية ان نحمل الدين مسئولية هذه التصرفات المشينة التي تقوم بها الدولة الشيعية او بعض الدول السنية ؟! ان الفكر الديني شيء .. وهذه التصرفات التي تقوم بها تلك الدول شيء آخر .. وان استغلال الاسلام من قبل حكومة معينة .. او فئة خاصة - رجعية او غير رجعية - لايعني بان الاسلام قد تحوَّل بجرَّة قلم الى سند حقيقي لتلك الحكومة او الفئة - في تبريراتها ومصالحها وغاياتها النفعية .. فهل لو استغلت (الاشتراكية العلمية) مثلا .. حكومة معينة للتدجيل والخداع والتطبيل الكاذب .. فهل تصبح الاشتراكية بايديولوجيتها وافكارها الاساسية منبوذة من قبل الاشتراكيين ؟! وهدفا للتجريح والسخرية والنقد لانها صارت مادة للدجل

والاستغلال . ؟! والحقيقة بكل جلاء . . :

ان الايديولوجية الاسلامية الاصيلة تقف بكل صلابة وشموخ فوق ضباب الشبهات والشكوك . . . ولن يضيرها ان يستغلها المستغلون لمآربهم ، ويسخرها المنحرفون لمصالحهم . . مادامت محافظة على نقائها ونصاعتها لدى كل الواعين المخلصين الصادقين .

وهل يصح ان تُسدد سهام التجريح لحقيقة العسل عندما يُستغل ـ ظلما ـ لتغطية السُّمِّ الزعاف ؟!

وليمعن القاريء النظر في مدى ظلامة هذا الدين على ايدي الكذابين والمفترين . . من ابنائه . . . فما بالك باعدائه والمتربصين به الدوائر . . .

أهمية العالم الإسلامي . . في نظر القوى الإستعمارية

شاء القدر للإسلام ـ كما ذكرنا في دراسة سابقة[1] ـ أن يكون حارس الإنسانية والحرية في وجه الإستعمار . . فلم يكن للإستعمار منذ نشأته طريق إلى الشرق إلاّ من خلال بلاد إسلامية . .

أراد المستعمرون أولاً أن يصلوا إلى الهند فوجدوا الإسلام قائما في طريقهم على مفترق القارات الثلاث ممتداً من مصر إلى العراق ومنها إلى الأناضول وبينهما سورية وفلسطين . . وعلى مقربة من هذه البلاد شواطىء البحر الأحمر وشواطىء البحر الأبيض عند مدخل المشرق من جميع نواحيه . ولما وصل منهم من وصل إلى الهند تارة على سفن التجارة وتارة على سفن الإستكشاف حول القارة الإفريقية وجدوا الإسلام في الهند عقبة يحسبون حسابها . . فوضعوا خططهم على أساس ترويض الهند باضطهاد المسلمين فيها ودق أسافين الفتنة فيما بينهم . .

وأعلن (اللورد ألنبرو) شيئاًمن هذه الخطة فقال :ـ

« لايسعني أن أغمض نظري على حقيقة لا شك فيها ، وهي أن العنصر الاسلامي عدو أصيل العداوة لنا وأن سياستنا الحقة ينبغي أن تتجه إلى تقريب غير المسلمين من الهنود » .

بل وجد المستعمرون هذا الحارس المخيف على شواطىء الجزر والبحار بل في كل مكان وصلوا إليه على شواطىء المحيط الهندي المترامية فوجدوه في جزر أندونيسيا كما وجدوه في خليج العرب وفي سواحل زنجبار (التي تم هضمها) ولم يكن بعيداً منهم على شواطىء الهند الصينية والفلبين . .

(١) انظر كتابنا (نهاية الأرب في بيان حقيقة حركة القوميين العرب) . . . وهو قيد الطبع . .

شبح هائل في طريق الإستعمار يلقاه أمامه حيث سار ، وتأخر من تأخر من أفواج الاستعمار . . فوجدوه أمامهم كما وجده المتقدمون من قبلهم . . وجدته روسيا القيصرية في القفقاس وأذربيجان وآسيا الوسطى . ووجدته فرنسا في أفريقيا الشمالية وأفريقيا الغربية وليست كلمة (السنغال) إلا كلمة (صنهاجة) قبيلة الموحدين حرّفها المستعمرون قبل أن يطأوا بلادها الأولى بأعوام طويلة . وكانت ألمانيا في أوروبا الوسطى مشغولة عن الإستعمار بولاياتها المتفرقة ، وسلالتها الجرمانيةالمختلطة ، فلما فرغت من هذا الشاغل وصاحت صيحتها : إلى الشرق . . إلى الشرق . . إذا بالإسلام في الطريق على البسفور بين أوروبا وآسيا . . وإذا بالطريق كله قبل ذلك وبعد ذلك في أيدي الإسلام .

ومن المضحكات أوالمبكيات أن الإستعمار الألماني حاول من باب الصداقة ما تعب فيه الآخرون من باب المناجزة والإضطهاد ، فأبدى عاهل (هو هنزلرن) أسفه لخلّو آسيا الصغرى من السكان على اتساعها وصلاحها لعمران الزراعة والصناعة ، واقترح على ساسة الترك أن يعاونهم بمليونين من الألمان يحرثونها ويزرعونها ويقيمون فيها دور الصناعة ومعاهد الفنون . . .

فقبل ساسة الأتراك هذا الإقتراح . . ولكن بشرط واحد . . . وهو : أن يكون توزيع الألمان بين السكان وفي المناطق التركية المختلفة بإشرافهم . . وعلى حسب تقديرهم . .

فأدرك هذا الإستعمار (الصديق) ما وراء ذلك ، وأراح نفسه من التوجع لخلّو المكان وحاجته إلى السكان والعمران . . ثم جاء دور الفاشية الإيطالية أخيراً . فجعلت غزوها لطرابلس الغرب جهاداً صليبيا للإسلام . . ووضعت على ألسنة المجاهدين !! الطليان نشيداً لحنوه موسيقيا . . يقول المقاتل في ختامه وهو يخاطب أمه :

« إن سألكِ السائلون لِمَ لا تلبسِين عليه السواد . . فقولي أنه مات شهيداً في

قتال الإسلام » . .

فالعداوة بين الإستعمار والإسلام عداوة تاريخية جغرافية نفسية وتلك أصعب العداوات وأعمقها وأعصاها على التوفيق والنسيان . . . هذا من ناحية . . .

ومن ناحية أخرى فالسياسة سوق تجارية كبرى . . على حد تعبير السيد الأستاذ أمين هويدي . . فعلى قدر مافي جيبك من نقود يمكنك أن تشتري اذن أن تعرف القيمة الحقيقية لما في جيبك شيء هام . وأن تعرف قيمة ما يمكنك أن تشتريه من السوق التجارية كمقابل ذلك شيء أهم وإلّا كسب التاجر الجولة . . قد يعطيك بضاعة كاسدة ، أو فاسدة وقد يعطيك أقل مما تستحق ، أو قد يأخذ كل ما في جيبك . . دون أن يعطيك شيئاً . .

ويبدو أن القوى الإستعمارية تعرف قيمتنا من قديم الزمان بطريقة أدق مما نَعرفها .

ـ فالمساحات التي يمتد فيها الإسلام كظاهرة مكانية لا يجاوزها من حيث الإمتداد المساحي سوى المسيحية . .

ـ ومن الناحية العددية . . فإن الهيكل السكاني للمسلمين يبلغ بتعداد سنة ١٩٧٥ أكثر من (٧٠٠) مليون . . وهذا يمثل (١٧,٥٪) من الهيكل السكاني في العالم . . وهذا الكمّ العددي يوزع قارياً إلى (٦٧,٥٪) من مجموع السكان في آسيا في حين يتركز (٣٢,٥٪) في أفريقيا . .

ـ والإسلام يأتي في المرتبة الثالثة من الهيكل الديني العالمي بعد البوذية والمسيحية . . وتأتي من بعده الهندوكية . .

فنحن إذن بصدد دين عالمي . .

بل إن الأقليات المسلمة في كثير من الدول ذات ثقل سياسي يتجاوز مقدارها العددي . . فكانت الأقليات المسلمة الموجودة في الجمهوريات الإسلامية في جنوب الإتحاد السوفيتي وراء غزوه لأفغانستان .

ـ وهذا العالم الإسلامي يقع ضمن إطار عالم المصادر الأولية . . ففيه النفط . . ـ عصب الحضارة المعاصرة ـ والفوسفات والحديد واليورانيوم والنحاس . . وفي الوقت نفسه نظراً لتخلّفه وتعداد سكانه فإنه يعتبر سوقا استهلاكية ضخمة لهذه القوى الخارجية . .

ـ ومن ناحية المكونات الإستراتيجية فلا توجد كتلة جغرافية على هذه الدرجة من الأهمية على الصعيدين الإستراتيجي والجغرافي لأنها تقع في قلب العالم . . فهي نقطة إلتقاء ووصل بين الشرق والغرب . . وبذلك فهو مركز حركة المواصلات البرية والبحرية والجوية العالمية . . بكل انعكاسات ذلك اقتصاديا . . واستراتيجياً . . كما يضم أهم مجموعة مضائق في العالم . .

ـ مضيق جبل طارق حيث يتصل البحر المتوسط بالمحيط الأطلنطي . .
ـ مضيق باب المندب بين البحر الأحمر والمحيط الهندي . .
ـ مضيق البسفور والدردنيل الذي يصل البحر الأسود بالبحر الأبيض .
ـ مضيق هرمز ويتحكم في طريق نقل النفط من المنابع إلى الأسواق . .
ـ مضيق ملقا بين شبه جزيرة الملايو وجزيرة سومطرة حيث يعتبر نقطة وصل بين المحيط الهندي والمحيط الهادي . .

هذه المضائق تتحكم في طرق نقل التجارة الدولية . . فضلاً عن أهميتها الإستراتيجية للدول العظمى . .

ـ وتشكل المسطحات المائية الواسعة التي تقع في الكتلة الإسلامية . . في مجموعها محاور الإستراتيجية العالمية بلا منازع .

فقد أصبح البحر المتوسط يدخل في نطاق التخطيط الإستراتيجي والأمني للقوى العظمى . . علاوة على أنه يؤدي إلى البحر الأسود وإلى قناة السويس . . أقصر طريق إلى المحيط الهندي بكل مافي ذلك من أهمية اقتصادية . . أيضاً .

والمتوسط هو أقرب الطرق المائية إلى مخزن الطاقة النفطية في العالم . . والبحر الأحمر في موقع متوسط بين القارات . . وهو نقطة الوصل بين آسيا وأفريقيا . . وهو أحد مناطق مرور النفط وبذلك فهو يدخل ضمن نطاق التخطيط الإستراتيجي للدول العظمى وأوروبا الغربية . . وكلنا قرأ وسمع الأخبار التي تحدثت عن انفجار ألغام بحرية في مداخل البحر الأحمر الجنوبية وفي مداخل السويس . .

وكيف هبت الدول الكبرى عارضة إرسال كاسحات الألغام ودوريات التفتيش عن الألغام . . مما يدل على أهمية هذا الممر المائي .

ـ وهنالك الخليج العربي . . وهو يشكل القلب للعالم المعاصر . . وهو أيضاً قلب العالم الإسلامي (حسب تعبير ماكِنْدَر) (انظر بحث الأستاذ هويدي) ومن يتحكم في القلب يتحكم في العالم الإسلامي . .

ـ وعلاوة على ذلك فإن الكتلة الإسلامية تشكل العمق الإستراتيجي لكل من حلفي الأطلسي ووارسو . . وكذا جنوب شرق آسيا . . ويعتبر في الوقت نفسه نقطة وثوب إلى الخط المار بجنوب أفريقيا والهند واستراليا .

وواضح أنه إذا كانت الكتلة الإسلامية تشكل كتلة استراتيجية حيوية . . فإن الكتلة العربية تعتبر قلب هذه الكتلة . .

والإستعمار والإمبريالية لم يركزا هجومهما على شعب من الشعوب كما ركزاه لقرون متتالية على العرب المسلمين بالذات . . لا للأسباب السياسية والإقتصادية

والإستراتيجية التي ذكرناها . . فحسب . . ولكن فوق ذلك لتفتيت شخصيتهم ومقومات وجودهم من أجل تمكين الفكر الإستعماري الغربي وثقافته المضادة للثقافة الإسلامية ليتمكنوا من اقتلاع جذور المقاومة الحضارية العربية الإسلامية للموجات الإستعمارية المنظمة ضده تدريجياً . .

وبذلك فإن الإمبريالية ليست فقط نظاما اقتصاديا وسياسيا ولكنها نظام سياسي واقتصادي لخدمة هدف استعماري . . وهو : سيطرة الحضارة الغربية على شعوب الشرق . . وليس نهب مواردها الإقتصادية فحسب .

فالحروب الصليبيةأرادت كسر شوكة الإسلام في الشرق . . وما وجود اليهود على أرض فلسطين اليوم . . إلا تكرارا لمحاولة الصليبيين إنشاء مملكة القدس بإسلوب عصري جديد . . بوصفها القاعدة المتقدمة للغزاة . . من دول أوروبا في القرون الوسطى . .

ـ وأخيراً فإن أهمية المنطقة العربية والإسلامية تهم كافة مراكز القوى في العالم . .
فإذا درسنا تغيير هذه المراكز بعد مؤتمر (يالطا) نجد أن العالم يتكون من ثلاثة مراكز حضارية :

ـ دائرة الحضارة الغربية الرأسمالية برئاسة الولايات المتحدة .
ـ دائرة الحضارة الغربية الإشتراكية برئاسة الإتحاد السوفيتي .
ـ دائرة حضارة الشرق . . وفيها اليابان والصين . .

والدائرة الأولى تحتاج إلى النفط . . وهو في الشرط الأوسط .
والدائرة الثانية تحتاج إلى تأمين حدودها . . وتحتاج إلى همزة وصل بين آسيا وأفريقيا . . وذلك في الشرق الأوسط .
والدائرة الثالثة تحتاج إلى النفط . . وهو في الشرق الأوسط . .

وتُقدِّر القوى الإستعمارية هذه القيمةالبالغة الأهمية للكتلة الإسلامية وقلبها

وهو الشرق الأوسط . . وتتخذ مواقفها وتحركاتها تبعا لذلك . . وبينما هذا يحدث من جانبهم . . فإننا بالرغم من وجود الركائز الموضوعية لقيام كتلة إسلامية متحدة . . إلا أن هذه الكتلة مقسمة إلى نظم إقليمية ـ بجهود القوميين ـ متصارعة مفتتة . . وهي في جملتها كتل فرعية تابعة لغيرها . . وهذا وضع مناسب لتحرك القوى الإستعمارية من أجل السيطرة .

ويمكنناأن نلخص ما أسلفناه في سطور فنقول :ـ

إن القوى الإستعمارية تطمع في القارتين الآسيوية والإفريقية وفي هاتين القارتين يسكن المسلمون بمئات الملايين . . ولو كان هؤلاء قوة سياسية ليس إلاّ لهان خطبهم على الإستعمار بجميع أنواعه . . ولكنهم قوة روحية تندفع كالسيل إذا اندفعت وتستقر كالصخر إذا سكنت . . وتفارقها قدرتها على الغلبة والسيادة حينا ولكن لا تفارقها قدرتها على الصمود والثبات . . لذلك لابد من تفتيت هذه القوة . . وهذا ما أجمعت عليه القوى الخارجية المستعمرة . . وليس في نيتنا في هذه العجالة على الأقل . . أن ننبش أوراق التاريخ لنلقي الضَّوء على أنماط تلك الخطط التي اتبعها الإستعمار بأشكاله لتفتيت القوة الإسلامية . . والتي أسفرت عن استعمار أغلب البلاد العربية والإسلامية . . وتقسيمها بين الأفاقين من دهاقنة الإستعمار الشرقي والغربي . . . وكانت أولى هذه الوسائل هي أن يتعلم الأوروبيون علوم المسلمين التي كانت السبب في قوتهم . . وقد نتج عن هذا القرار ذلك الحدث الضخم الذي يعرفه العالم بـ (عصر النهضة) فأوروبا التي تعلمت علوم المسلمين وأضافت إليها حتى قويت وسادت العالم قاطبة . . لم تلتفت بادىء ذي بدء إلى ثقافة المسلمين وآدابهم إلاّ في مرحلة تالية . . حيث قرروا فيها أن يتعلموا ويتخصصوا بدراسة جوانب الثقافة الإسلامية ليقدموها بصورة مشوهة حتى ينفر المسلمون من دينهم وحضارتهم . . وهذا ما أطلق عليه الأوروبيون اسم (الصليبية الروحية) وذلك بهدف إقناع العربي المسلم أنه مهزوم تاريخياً في الماضي كما هو في الحاضر . . وكما

يجب أن يكون في المستقبل . . وأنه ليس متخلفا بحكم ظروف سياسية واجتماعية وتاريخية بل هو متخلِّف بالفطرة ليلهث العرب والمسلمون خلف نفايات الشعارات وجيف النظريات التي يلقيها الغرب عند شواطئنا وبين ربوعنا بواسطة من رباهم على عينه . . وقد قامت حركة الإستشراق بمجملها والتي تعمدت بث روح الهزيمة في عقول أبناء الأمة وقلوبهم . . بإبراز الجانب المظلم من تراث أمتنا الذي دسَّهُ على التراث تلاميذ ابن سبأ اليهودي[1] وردِّها كل إيجابيات التراث إلى تراث اليونان الأوروبي . . الأمر الذي رسَّب في بعض العقول الخاوية أن أمتنا لم تصنع مجداً غابراً متميزاً . . فأنّى لها أن تصنع شيئاً من ذلك في المستقبل وهي على ما هي عليه من الضعف الذي بلغ بها إلى حدِّ الهزيمة أمام الأوروبين أبناء الحضارة الأوروبية المنتصرة . .

وسارت مراكز التبشير ـ الدينية والفكرية والتعليمية ـ بحضارة الغزب على درب الإستشراق في نزع ثقة أمتنا بذاتها . . ولقد كانت تلك المراكز كما كانت حركة الإستشراق طلائع للمدّ الإستعماري الغربي لدرجة أن المبشِّر (جون ڤان إيس) أعلن عن وجود إسرائيل قبل أن تعلن إسرائيل عن وجودها بخمس سنوات . . وقال أنها ستشمل أرض الجليل وتصل إلى شرق الأردن وخليج العقبة . . !!

وقد نازل المبشرون والمستشرقون عقول أبناء الأمة بالأسلحة الفكرية منازلة الجيوش الإستعمارية لجيوشنا الوطنية سواء بسواء . . وكانت جامعات الغرب ومؤسساته العلمية والفكرية المصنع الذي هيأ (الكوادر) السياسية والفكرية التي أخذت تشارك السلطة المحتلة في إدارة مرافق البلاد . . حتى أصبحنا ندرس على أيدي أعداء الإسلام والعروبة هؤلاء كل شيء بما في ذلك اللغة العربية وعقائد الإسلام . . وكانت الثمرة لكل ذلك (تيار التغريب) الذي علا صوته فترة من الزمن ـ والذي لا يزال له بعض الذيول في ساحتنا العربية ـ حتى انفرد بالساحة في المدرسة والجامعة والصحيفة والكتاب . . وكانت (العلمانية) واحدة من أبرز ثمار (تيار التغريب) . . وأخذ أيتام هذا التيار من العلمانين يحاولون فرض ايديولوجية

(١) انظر كتابنا (عبدالله بن سبأ اليهودي اليماني بين الحقيقة والخيال) وهو قيد الطبع

الحضارة الأوروبية على المسلمين . . . ومحاولة إقناعهم ـ بلا حياء أو خجل ـ بأن عصر ايديولوجيتهم الإسلامية قد انتهى . . إذ لا يمكن للقرن العشرين أن يستلهم قيما من حضارة ونماذج إنسانية عاشت في القرن السابع . . وذلك بعد أن قامت ـ الجهات المختصة ـ بتلميعهم ودفعهم إلى واجهات المجتمعات العربية والإسلامية ليقيموا ستاراً من الجهل والتجهيل بين الجيل الحاضر وتراثه وماضيه ليقتلعوه من جذوره . . لأن أسيادهم من الغزاة القراصنة يعرفون أن أمة بلا ماضٍ . . هي أمة بلا مستقبل . . والذين لم يكتب أسلافهم تاريخا يعتزون به . . لن يكتبوا هم ولا أحفادهم شيئاً في سفر التاريخ . . من العار يأتون وإلى العار يذهبون .

لذلك افتعل اليهود لأنفسهم تاريخا مزيفا ليس له أي دليل عقلي أو واقعي . . وحاولوا تفسيره بمفهوم يخدم أهدافهم المعاصرة . . وعملوا والإمبريالية الغربية من قبلهم على صرفنا نحن المسلمين عن الإهتمام بتراثنا والسخط عليه والخجل منه وتحميله كل ما ينزل بنا من كوارث حتى أصبحت كلمات مثل التجديد والعصرية التي تنطلق من أفواه المتشدقين الثرثارين لا تعني إلّا نبذ التراث والسخرية منه . . ونحن عندما نادي بالإعتزاز بتراثنا وحضارتنا الإسلامية لا نستهدف إلا استلهام قيمه ومُثُلِهِ الخالدة . . لكي نصوغ بوحيها وعلى هديها مستقبلنا . . ولن نتمكن من بناء مستقبلنا المشرق إلّا إذا آمنا بأننا حفدة أولئك الذين منحوا البشرية عصراً من أزهى عصورها . . . وفي الصفحات القادمة . سنطلعك (أخي القارىء) على حقيقة العلمانية . . ودعاتها . . بعد بيان صلتها بالماسونية اليهودية .

فصل المقال فيما بين العلمانية والماسونية اليهودية من الإتصال

إن علاقة الدين بالدولة من القضايا التي شغلت الإنسانية منذ نشأتها فكانت دائما موضع اهتمام السياسيين وعلماء الإجتماع والفلاسفة . . وقد رافقها فيض من الخلافات والمجادلات . .

وقد نشأت الدعوة للعلمانية في أوروبا من خلال الصراع الدائر منذ القرن السادس عشر بين الكاثوليك والبروتستنت من جهة وبين ملوك أوروبا والكرسي البابوي من جهة أخرى. . وبين اليهود والمسيحيين من جهة ثالثة. . والذي استمر إلى قيام الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ فكانة الثورة الفرنسية الماسونية شبه خاتمة التوتر الذي ساد في الأوساط الشعبية ضد طبقة الاكليروس . . إذ أن أول التدابير التي اتخذها الثوار الفرنسيون. . هو وضعهم للدستور المدني للأكليروس ومن بنوده : -

« وجوب اختيار الأساقفة من قبل الشعب . . بدل تعيينهم من قبل البابا ومصادرة أملاك الكنيسة . . » ثم جاء إعلان حقوق الإنسان الذي نصَّت مادته الأولى والثانية على ما يلي :-

المادة الأولى : يولد جميع الناس أحراراً متساويين في الكرامة والحقوق . . فقد وهبوا عقلاً وضميراً وعليهم أن يعامل بعضهم بعضا بروح الإخاء . .

المادة الثانية : لكل إنسان حق التمتع بكافة الحقوق والحريات الواردة في هذا الإعلان دون أي تمييز بسبب العنصر أو اللون أوالجنس أو اللغة أو الدين أو

الرأي السياسي أو أي شيء آخر . . فكرَّس هذا الإعلان القطيعة بين الدولة الفرنسية والاكليروس . . إذ لم يأت على ذكر الدين . . بل أعلن الحرية والإخاء والمساواة بين كل الناس بما في ذلك حريّة المعتقد الديني . . فكان من جراء ذلك أن أعلنت الكنيسة في أواخر القرن التاسع عشر في عهد البابا (لاون الثالث عشر) مبدأ التفريق بين السلطتين الدينية والمدنية . . واستقلال كل منهما في حقل نشاطه وصلاحياته . . فميزت بين المجتمع الديني والمجتمع المدني . . باعتبار أن الأول مكلف بالنظام الروحي ، والثاني بالنظام الزمني . . وكل منهما سيد في مجال اختصاصه . . كما أعلنت أنه لا يجوز إلزام أحد من الناس اعتناق الدين الكاثوليكي بالقوة . . وتواصَلَ تطور القضية في فرنسا . . حتى استقرت على صفة قانونية أقرَّها المجلس النيابي الفرنسي في قانون سنة ١٩٠٥ الذي نصَّ على حرية المعتقد وعلمانية الدولة . .

ولعلَّ أوضح تعريف للعلمانية هو ذاك الذي ورد في مناقشات المجلس المجلس النيابي الفرنسي لدستور ٢٧/١٠/١٩٤٦ وقد جاء فيه :-

أن العلمانية هي حياد الدولة تجاه الدين . .

أي أن الدولة لا تلتزم بأي معتقد أو دين . . كما أنها لا تخصُّ أي دين بإعتراف خاص به . . أو بعطف خاص . . أو بمساعدة امتيازية . . ولا تقوم في نفس الوقت بالدعوة للإيمان بأي دين . .

فالعلمانية بإيجاز : هي عزل الدين عن الحياة الإجتماعية للأفراد وعن شئون الإدارة والتعليم والحكم .

لقد عرف اليهود ما للدين من أثر على الأفراد والجماعات . . فقد تشتتوا تحت كل سماء وفوق كل أرض . . واندثرت لغتهم أو كادت . . ولكن رابطة الدين اليهودي هي التي مكنتهم من تحقيق حلمهم في استيطان فلسطين . . وإليك نبذة

من أقوال حكمائهم تبين معرفتهم ماللدين من أثر على الأفراد والجماعات . . وتكشف سرّ حربهم للدين . . الذي يعلمون أنه وحده القادر على تكتيل الجهود للوقوف كالطود الشامخ في سبيل أطماعهم الخبيثة . .

١ ــ قال يوسف الحاج ـ والذي كان ماسونيا ثم خرج منها . . . وفضح الماسونية في كتابه الشهير ـ هيكل سليمان ـ إذ قال (ص ٧٣) ما نصه :ـ « ويشهد الله . . أننا ما قصرنا في شيء من العطف على أبناء اسرائيل طيلة السنين التي خالطناهم فيها في محافل ـ الحرية . . والإخاء . . والمساواة . .

وكم من مرّةٍ مشينا وإياهم في نشر المبادىء الإنسانية العامة . . . غافلين عماكانوا يدبرونه في الخفاء وبمعزلٍ عنّا . . لِلَمِّ شعثهم وجمع أشتاتهم من أقاصي الأرض للحصول على السيادة العالمية باسم الدين والقومية !! اللذين كانوا يظهرون لنا تذمرَهم من التمسك بها وإضرارهما بالمجتمع الإنساني . . » اهـ .

٢ ــ وقال يوسف الحاج في ص ١٠٢ ـ ١٠٣ في كتابه ـ هيكل سليمان ـ تحت عنوان :ـ زبدةالمحاضرات والقرارات الصهيونية ـ ما نصه :ـ « إن من شأن الإيمان أن يحمل الشعب على الإمتثال لنصائح رعاة الرعية المخلصين . . وبهذا الإمتثال ينمو الشعب ويترقى بهدوء وسكينة ، تحت إدارة رؤسائه الأتقياء . . ولذلك وجب علينا أن نُقَوِّض أركان كل إيمان ، وننزع من عقول الخوارج . . أي غير اليهود . . الإعتقاد بالله . . شاغلينهم بقوانين رياضية وقوانين مادية . . ومتى أصبحنا أسياد الناس لا ندع في الوجود سوى ديانتنا . . التي تنادي بالإله الواحد . . الذي يتعلق به مصيرنا . . لأننا نحن شعبه المختار !!

ولأن مصيرنا يقرر مصير العالم . . ولذلك علينا أن نلاشي سائر الأديان ، فإن أدّى عملنا إلى قيام كفرة متحدثين فإنهم لا يكونون إلّا عنصراً زائلاً . . فلا

يؤثرون على خطتنا . . إلى أن يقول :ـ وحينئذ يكون وكلاء جميع البلدان يهوداً أو من صنائع اليهود . . ويبدأ العهد اليهودي . . ويبقى كل تنظيم وكل تدبير في أيدي اليهود دون غيرهم . . ويكون الخوارج ـ أي غير اليهود ـ حراساً ومأموري تنفيذ ليس إلّا . . » اهـ .

٣ ــ ألقى الحاخام ـ ريجهورن ـ في اجتماع سرّي عقده اليهود في (براغ) سنة ١٨٦٩ جاء فيه :ـ (شعبنا محافظ مؤمن متدين ولكن علينا أن نشجع الإنحلال في المجتمعات غير اليهودية . . !! فيعم الفساد والكفر وتضعف الروابط المتينة التي تعتبر أهم مقومات الشعوب فيسهل علينا السيطرة عليها وتوجيهها كيفما نريد . . وسنجعل رجال الأديان الأخرى باستهزاءاتنا وهجماتنا عليهم (كما هو حاصل في التمثيليات والأفلام والمسرحيات العربية !!) أضحوكة أولاً . . ثم نجعلهم مكروهين . . وسنجعل أديانهم مهزلة . . » اهـ .

٤ ــ ألقا الحاخام ـ عمانوئيل رابينويج ـ في مجلس الحاخامات الملتئم في بودابست بتاريخ ١٩٥٢/١/١٢ جاء فيه ما نصه :ـ « لا نريد بقاء دين فوق الأرض غير ديننا . . إذ أن بقاء الأديان سيكون خطراً دائما لكيان حاكميَّتنا . . لأن الإيمان بالبعث بعد الموت يقوي معنويات الأشخاص ويعطي الإمكانية لمثل هؤلاء الناس لمقاومتنا ومعارضتنا . . فلذا سنفني الأديان . . أما نحن فنبقى متمسكين بشعار قومنا وهو الشريعة العبرانية الموروثة لنا . . » اهـ .

٥ ــ جاء في مجالة أكاسيا الماسونية عام ١٩٠٤ . . . ما نصه :ـ « إن طريقتنا السياسية هي الحرب ضد الأديان وإيجاد حكومات علمانية . . »

٦ ــ وجاء في نفس المجلة السالف ذكرها . . الصادرة عام ١٩٠٣ ما نصه :ـ (ان النضال ضد الأديان لا يبلغ نهايته إلّا بعد فصل الدين عن الدولة . .) .

٧ ـ ولو رجعنا إلى عام ١٩٢٤ . . إلى مؤتمر لوزان . . لنرى مـاذا كان مـطلب اليهـوديين ـ حـاييم ناعـوم[١] واللورد كردون[٢] ـ من الأتـراك نيـابـة عن الحلفاء . . كي يمنحوا تركيا استقلالها . . إذ كانت مطالبهم :

أ ــ أن يلغي الأتراك الخلافة الإسلامية .

ب ــ أن تكون تركيا دولة علمانية . . »

٨ ــ جاء في مضابط مؤتمر بلغراد الماسوني المنعقد عام ١٩١١ ما يلي :ـ « ويجب ألا ننسى بأننانحن الماسونيين أعداء للأديان . . وعلينا ألا نألوا جهدنا في القضاء على مظاهرها . . »

هذه بعض الأقوال التي تميط اللثام عن حقيقة العلمانية . . والتي هي الوجه

---

(١) كان عضواً في المجلس الماسوني السامي المصري والمحفل الأكبر الوطني المصري وحائز على الدرجة ٣٣ . . ولد في مدينة مغنيسيا التركية عام ١٨٨٤ وهو من سلالة اليهود الذين هاجروا من أسبانيا إلى تركيا عام ١٤٩٢ م . . وكان من مؤسسي (حزب الإتحاد والترقي) واشترك مع اليهودي الدونمي (أحمد مدحت باشا) في اغتيال السلطان عبدالعزيز وكان مع الذاهبين إلى قصر السلطان عبدالحميد ليبلغه أمر التنازل عن العرش . . لأنه رفض أثناء مقابلته لهرتزل بيع فلسطين لليهود . . وكان دولاب المؤامرات في استنبول . . وفي عام ١٩٢٤ اشترك في مؤتمر لوزان مع صديقه (عصمت اينونو) حيث طالبا بأن تكون تركيا دولة علمانية . . ثم عين سفيراً لتركيا عام ١٩٢٦ ـ ١٩٢٧ في الولايات المتحدة . . ومن هناك انتدبته المنظمات اليهودية ليذهب إلى الحبشة للبحث عن سلالة سيدنا سليمان (يهود الفلاشا) وعاد بعد ذلك كله إلى القاهرة . . لتنفيذ المؤامرات الدولية اليهودية . . وكان أحد أعضاء المجمع اللغوي بالقاهرة. . .!! (انظر كتاب جهاد ناطق ص ٦١ ـ ٦٢ لعمر مفتي زادة وكتاب الحظر المحيط بالإسلام . . ص ٢٤٩ ـ لجواد رفعت آتلخان) .

(٢) اللورد كردون :ـ

يهودي بريطاني . . متزوج من يهودية ايطالية . . تعلّم العربية في معهد شملان في لبنان . . وعمل في الإدارة البريطانية في حيفا أيام الإنتداب البريطاني على فلسطين ثم انتقل إلى (جمايكا) واسمه الحقيقي : السيرهيوفوت. . وقد منح لقب لورد بعد استقلال الجزيرة. . وهو يتفن العربية ويعرف معظم قرى فلسطين المحتلة ولبنان . . وهو واضع قرار مجلس الأمن الصادر عام ١٩٦٧ م وهذا هو سرّ الغموض فيه . .

انظر مجلة الصياد اللبنانية في عددها رقم (١٤٨٥) الصادر بتاريخ ١ ـ ٨ آذار ١٩٧٣ .

العصري لحقد تلك الحركات الهدامةا لقديمة على الإسلام . . رفعت الماسونية لواءها في كل مجتمع ابتلي بها . . وغرضها من ذلك هو القضاء على أي دين ما عدا الدين اليهودي . . وعلى المجتمعات والأفراد كجزء من خطة جهنمية ترمي إلى تفكيك عرى المجتمع . . وإثارة البلبلة بين صفوفه ليخر صريعاً تحت أقدام اليهود . . وإن يقيننا الذي لا يتزعزع أن العاقبة للإسلام والمسلمين . . فكل المؤامرات الدنيئة والهجمات الشرسة التي تعرض لها الإسلام قد انتهت واندثرت . . وبقي الإسلام يتحدى ببقائه كل العملاء والمأجورين . . وكما تخطى المسلمون الحركات الماضية وتغلبوا عليها . . فهم قادرون على تخطي الحركات الهدامة الحديثة ـ بعون من الله ـ **﴿ والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾** .

بداية الخطة وأسبابها : ـ

من الأمور البديهية والمعروفة . . أن اليهود في كل زمان ومكان يعملون ضد الدولة التي ينعمون بخيراتها . . ويسعدون بالأمن في ظلها . . فنجدهم يساعدون الفاتح الغازي ضد أهل البلد الذي يقيمون فيه . . ويقومون بأعمال التخريب والتجسس ضد أهل الوطن الذي يبتلى بهم . . وتكرر ذلك منهم على مدار التاريخ . . وشواهد ذلك أكثر من أن تحصى . . فهم لايقدرون على الظهور بأشخاصهم والجهر بعداوة من حولهم . . فيظل الحقد يتفاعل في نفوسهم وقلوبهم حتى تسنح الفرصة بقدوم طارىء خارجي أو أزمة مستحكمة أو فتنة عارمة . . فيطلون من جحورهم . . كالجراثيم الكامنة في الجسم . . تظل مختفية طالما هو قوي ومعافى . . فإذا آنست فيه ضعفا ظاهرا هجمت عليه وتجمعت مرة واحدة . . واعانت الضعف والمَرض على تمزيقه . . حتى أن بعض المؤرخين . . والمؤرخ (جيبون) على وجه الخصوص . . في كتابه التاريخي (انهيار وسقوط الامبراطورية الرومانية) أرجع سقوط الامبراطورية الرومانية إلى نفوذ اليهود الفاسد . . وتغلغلهم في أمور الحياة العامة . . وقد دخل اليهود أوروبا . . وخاصة في المنطقة اليونانية قبل عهد السيد المسيح ـ عليه السلام ـ وتحدث قدماء الاغريق عن هؤلاء الغزاة الذين انتشروا بسرعة هائلة في الامبراطورية الرومانية وأوروبا الوسطى . . وقد ظهر التاجر اليهودي والفنان اليهودي وتاجر الرقيق اليهودي في الدولة الرومانية . . وتكاثروا بعد القرن الثاني للميلاد . . وكان مركزهم في العالم الروماني يزداد أهمية حتى وقت انهيار الامبراطورية .

كتبت الموسوعة اليهودية عن حالة اليهود في عهد (جستنيان) تقول ما نصه : ـ

(كان اليهود يتمتعون بكامل حرياتهم الدينية وغيرها مقابل أن يقدموا للدولة كل واجبات المواطن . . كما فتحت لهم أبواب الوظائف العامة) وكان هذا سببا من أسباب تغلغل اليهود كالجراد المنتشر . . مما جعل كثيرا من الكتاب يهاجمون الرومان المعاصرين لهم بمرارة . . لتساهلهم مع اليهود . . ولما بدأت الامبراطورية الرومانية في الاضمحلال . . وأخذ نجمها في الأفول وأصبحت على وشك الانهيار النهائي . . وخيمت عصور الظلام على الغرب كان اليهود يتحكمون فيما بقي من تجارة أوروبا .

تقول الموسوعة البريطانية : (كانت عند اليهودي الرغبة الأكيدة في التخصص في التجارة . . وساعدهم على ذلك مؤهلاتهم الخاصة بهم من غش وربا . . فتجارة غربي أوروبا وبخاصة تجارة العبيد في العصور الأوروبية المظلمة كانت في يد اليهود . . وسجلات (أديرة كارولينا) كانت تشير إلى أن كلمتي : تاجر . . ويهودي تعبيران يدل أحدهما على الآخر . . لدرجة أنه أصبح من النادر لغير اليهودي أن يشتغل بالتجارة . . فقد كادت تكون احتكارا يهوديا . . حتى أن عملة (نقود) بولندا ورومانيا حملت في وقت من الأوقات كتابات يهودية . . وهذه السيطرة على التجارة تشمل التحكم في طرق التجارة الشرقية . . ولم يكن هناك خلاص من هذه الحالة إلا بعد طرد اليهود من أوروبا في القرن السابق مباشرة لعصر النهضة . .)ا هـ وقد حصل . . وفي رأيي الخاص . . لن تكون هناك نهضة في العالم العربي والاسلامي . . بل لن تقوم له قائمة الا بعد طرد اليهود من بيت المقدس واكناف بَيَت المقدس وكل فلسطين . . وهاكم الدليل :

ففي عام (١٢١٠م) قصمت الكنيسة الكاثولكية ظهر اليهود في أوروبا في اجتماع (لاترين الرابع) وحطمتها بمجموعة من القيود لتكبح جماح احتكار اليهود التجاري . . ووضعت قيودا لاقامة اليهود مع المسيحيين ومنعتهم منعا باتا من استئجار العمال المسيحيين . . كما منعتهم من الارتباط بأنواع كثيرة من أنواع النشاط التجاري . .

ومع أن اجتماع (لاترين الرابع) وضع قيودا على التجارة اليهودية إلا أن ذلك لم ينه المشكلة اليهودية . . ولكن مع نهاية القرن الثالث عشر بدأت الدول الأوروبية في طرد اليهود من بلادها دولة بعد أخرى كحلٍّ أخير لهذه المشكلة .

وقد خطت (انكلترا) الخطوة الأولى . . حيث طردتهم عام (١٢٩٠) في عهد ادوارد الأول . . ولم يسمح لهم بالعودة حتى عام (١٦٥٥م) . . وتبعتها فرنسا . . فطردهم (فيليب العادل) من بلاده عام (١٣٠٦) بعد مصادرة أموالهم وثرواتهم . . وسمح للقليل بالعودة ثانية إلى فرنسا ولكنهم طردوا ثانية عام (١٣٩٤م) ثم سمح لهم بالعودة وعلى نطاق ضيق . . واستقروا في مقاطعات بوردو ، وأفيجنون ، ومرسيليا وطردوا للمرة الثالثة عام (١٦٨٢م) .

وبتتابع منتظم اقتدت معظم الدول الأوروبية بهذا العمل . . فطردتهم المجر عام (١٣٦٠) ولكنهم عادوا ثانية فطردوا منها عام (١٥٨٢م) ولم يعودوا اليها بأعداد كبيرة حتى عام (١٧٠٠) وطردوا من (تشيكوسلوفاكيا) عام (١٣٨٠) ثم عادوا ثانية بعد عام (١٥٦٢م) ثم طردتهم (ماري تريزا) عام (١٧٤٤) وطردهم (البرخت الخامس) من النمسا عام (١٤٢٠م) وطردهم (اترخت) من هولندا عام (١٤٤٤م) .

وطردوا من أسبانيا عام ١٤٩٢ ومن البرتغال عام ١٤٩٨ وطردوا من بروسيا عام ١٥١٠ ومن مملكة نابلي وسردينيا في ايطاليا عام ١٥٤٠ وطردوا نهائيا من بافاريا عام (١٥٥١م) . . ولم يسمح لليهود بدخول السويد حتى عام ١٧٨٢م كما لم يسمح لهم بدخول الدنمارك قبل القرن السابع عشر . . كما لم يسمح لهم بدخول النرويج قبل عام ١٨١٤م. . أي أنه في الفترة الواقعة بين سنين ١٣٠٠ م - ١٦٥٠م . . والتي رحل اليهود فيها عن أوروبا . . وبالأصح طردوا منها . . بدأ عصر النهضة الذي عم جميع أوروبا . . فقرر اليهود نتيجة لذلك الانتقام من هذه الدول المسيحية . . ولايتم لهم ذلك إلا بفصل الدين عن الدولة . . فأثارت بواسطة

الماسونية ـ مطية اليهود ـ الصراع الدموي بين الكنيسة والسلطة مما نتج عنه عودة البابا إلى قمقمه. والحد من سلطانه. . ثم فتحت لهم الثورة الفرنسية الماسونية الباب على مصراعيه . . للدخول إلى أوروبا وكتم أنفاسها من جديد . . ولتأكيد هذه الحقيقة اقرأ معي ـ أخي القارىء ـ هذا المقال الذي نشرته مجلة (المعرض) البيروتية في عددها رقم (١٣٠٠) بتاريخ ١٢ حزيران عام ١٩٣٢ . . وأورده (يوسف الحاج) في كتابه (هيكل سليمان ص ٥٣) تحت عنوان : ـ (كيف ينتقم اسرائيل . .) جاء فيه : ـ

« جيوفاني بابيني كاتب ايطالي شهير . . ونقادة لاذع . . يخلط الجد بالهزل ويخرج منها الحقائق الناجعة أو المساخر المضحكة . . نشر منذ سنتين كتابا بعنوان (غوك) انتقد فيه الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية في العالم . . وحاول فيه الانتصار للثقافة اللاتينية على أية ثقافة أخرى إلى أن تقول المجلة : ـ

وفيما يلي نعرب للقارىء فصلا ممتعا من هذا الكتاب ضمنه المؤلف حديثا لفيلسوف يهودي عن اليهود . . يقول الكاتب : ـ

نشرت في عدة صحف الاعلان التالي : ـ

اطلب سكرتيرا عازبا فيلسوفا يحسن عدة لغات ويحب حياة التشرد والطواف . . فما كادت الصحف تنشر لي هذا الاعلان حتى تقدم لمقابلتي ثلاثة وستون شخصا بينهم (٤٧) يهوديا . . فاخترت من بينهم اسرائيليا بدا لي أوفرهم ذكاءً . . إلى أن يقول كاتب المقال : فسألته إذ جلست أحادثه قلت : ما هو السر في كون اليهود عادة قوما أذكياء وجبناء معا . . ؟

فأجاب : أما أنهم جبناء فذلك صحيح من الوجهة الجسدية الحيوانية البحتة

إلى أن يقول : منذ تشتت اليهود إلى اليوم وهم يعيشون من غير دولة ولا

حكومة ولا جيش . . بل تراهم مبعثرين هنا وهناك . . فوق هذه الكرة الأرضية بين أناس يكرهونهم ويبغضونهم . . إلى أن يقول : وليحافظ اليهود على نسلهم من الانقـراض اضطروا أن يخلقـوا وسائـل للدفاع عن كيـانهم فاستنبـطوا وسيلتين خطيرتين هما : المال . . والذكاء . .

ثم يقول كاتب المقال :

لقد أراد اليهودي أن يدمر كل ما هو قائم من مبادىء وعلوم ومثل عليا تقوم عليها النصرانية . . فإذا تعمقت قليلا في درس أحوال العالم منذ قرن إلى اليوم . . رأيت أن الذكاء اليهودي لم يفتأ يعمل بجد ونشاط على تدمير أعز ما عندكم من معتقدات وهدم هذه الاعمدة التي شيدتم عليها بناءكم الفكري . . أجل ماكاد اليهودي يحصل عـلى حريـة الكتابـة حتى تداعت قصـوركم الرجعيـة الروحيـة وأصبحت عرضة للانهيار .

خلق (الرومنتسيم) الالماني الخيال السامي . . واعاد مجد الكاثوليكية فجاء اليهـودي (هـايتي) وراح يسخــر من شعـراء الــرومنتسيم . . ويضحـك من الكثلكة. . . اعتقد الناس زمنا طويلا أن السياسة والاخلاق والدين والفن هي ظواهر سامية للفكر . . ولا علاقـة لها قط بـالبورصـة وشئون البـطن . . فجاء اليهودي (ماركس) وأثبت أن هذه الأشياء الخيالية إنمـا تعيش فوق اقـذار علم اقتصاد حقير .

وفي أواخـر القرن التـاسع عشـر كانت أوروبـا تـولستـوي ، وفـرلـين ، ونيتشة . . وأبسن . . تفخر أنها قد بلغت من الرقي الانساني شأوا عظيما . . فجاء اليهودي (ماكس نوردو) وأثبت أن شعراءكم هم قوم معتوهـون بلهاء . . وأن حضارتكم قائمة على الكذب والرياء . .

كان كل منا يعتقد أنه انسان سالم من كـل فساد وشـذوذ فجاء اليهـودي

(فرويد) باكتشافه الشهير في شئون الجنس وقال : بأن أكثرنا فضيلة وتقوى يخفي في أعماق كيانه رجلا فاسقا شاذا مجرما .

اعتاد الناس منذ القرون الوسطى أن يعتبروا المرأة وينظروا إليها نظرهم إلى معبود فجاء اليهودي (واينجر) وبرهن بالعلم أن المرأة هي أقذر مخلوق على وجه الأرض . . وأنها بؤرة فساد . .

كان المفكرون والفلاسفة يعتقدون أن الذكاء هو الوسيلة الوحيدة التي يمكن الوصول على يدها للحقيقة التي هي غاية الانسان . . فجاء اليهودي (برجسون) وقلب بتحاليله النابغة والدقيقة هذا المعتقد رأسا على عقب وأثبت أن العقل يعجز عن ادراك الحقيقة . . كان الناس يعتقدون أن الديانات هي نتيجة تعاون جميل منسجم بين الله وأسمى قُوى الانسان . . فجاء اليهودي (سلامون ريناخ) واستطاع بدهائه وذكائه أن يبرهن أن الديانات هي خلاصة خرافات ومحرمات وحشية . . إلى أن يقول المقال : ـ

فأنت ترى أن أوروبا الأدبية هي اليوم تحت سيطرة هؤلاء النوابغ من اليهود الذين ذكرت . . وهم بالرغم من اختلاف جنسياتهم وتباعد أوطانهم إنما يسعون وراء غاية واحدة مشتركة هي أن ينقضوا الحقائق القائمة ويهدموا كل ما هو ثابت ويحتقروا كل ماهو محترم ويسفلوا كل ماهو عال ويفسدوا كل ما هو طاهر . . تلك هي طلائع الانتقام اليهودي الأعظم من اليونان واللاتين والنصارى . . فإن اليونان قد سخروا منا والرومان شتتوا شملنا ، والنصارى عذبونا ونهبونا . . ونحن الضعفاء الذين لم يستطيعوا أن ينتقموا لأنفسهم بالقوة . . إنما نُسَيِّر اليوم هجوما عنيفا على أركان المَدنيَّة التي خلفتها أثينا افلاطون وروما الأباطرة والبابوات . . وأن انتقاما على وشك أن يتحقق . . فنحن أسياد الأسواق المالية والفكرية في العالم ندير حركتها على ما نشتهي ونُريد. واليهودي يجمع في شخصه نقيضين . . فهو المستبد في ميدان الماديات وهو الفوضوي في حقل الفكر . . وأنتم عبيدنا في ميادين

الاقتصاد وضحايانا في ساحات الفكر . . إن الشعب الذي اتهموه أنه قدم الاله قربانا يريد اليوم أن يقضي على الهين : الذكاء والعاطفة . . . ويجعلكم تسجدون وجباهكم معفرة بالتراب أمام الاله الجبار : المال . . »اهـ .

وقد نقلناه على طوله ليرى المفكرون ماذا يدبر اليهود للانسانية . . وقد استطاع اليهود عن طريق الماسونية . . وعلى ظهور الماسونيين . . مطايا اليهود من العودة إلى أوروبا . . والاستقرار فيها . . والتحكم في مصائر أبنائها فيما بعد . . ولو رجعنا إلى تاريخ دخول الماسونية إلى هذه الدول . . لوجدناه متوافقا مع الفترة الزمنية التي سمح فيها لليهود بالعودة إلى البلاد الأوروبية بعد طردهم منها . . ويعتبر عام (١٧١٧) هو العام الذي بدأت فيه الماسونية بالانتشار في بريطانيا ومنها انتقلت إلى معظم البلاد الأوروبية تقريبا . . ففي بريطانيا مثلا : انتخب (الدوق مونتاجو) عام ١٧٢١م استاذا أعظم للماسونية في بريطانيا . . وفي عام ١٧٣٧ انتظم (البرنس فردريك اوف ويلس) في سلك الماسونية . . وفي عام (١٧٦٧) انتخب (دوق بوفورت) لرئاسة المحافل الماسونية . .

وفي سنة ١٧٩٠ انتظم في سلك الماسونية (دوق كنت) و (اغسطس فردريك)ثم (دوق سكس). ولما توفي (دوق كمبرلند)الذي كان الأستاذ الأعظم للمحافل الماسونية في ذلك العام . . انتخب مكانه الملك (جورج الرابع) الذي ساعد على انتشار الماسونية . . وعمل على توحيد المحافل الماسونية البريطانية تحت رئاسة محفل واحد أطلق عليه اسم (محفل انكلترا الأكبر المتحد) .

وفي عام (١٨٧٤) انتخب (ادوارد السابع) استاذا اعظم للمحافل الماسونية في بريطانيا واستمر كذلك حتى (١٥ فبراير سنة ١٩٠٠) . . حيث انتخب (دوق كنت) استاذا أعظم عوضا عن (ادوارد السابع) الذي ارتقى عرش بريطانيا . . ومنذ ذلك التاريخ وبريطانيا صانعة مشاكل العرب والمسلمين . مطية ذليلة وذلولة لليهود . .

ومن يراجع أسماء مجلسي العموم واللوردات وأسماء الأعضاء البارزين في الـوزارات البريـطانية المتعـاقبة والأحـزاب البريـطانية (الأحـرار ـ المحافـظين ـ العمال)يجد غالبية ذوي النفوذ من اليهود . . أو الماسونيين . . وهذا هو سر عدم سماحها لاستقبال اللجنة التي شكلتهـا الجامعـة العربيـة مؤخرا لشـرح القضية الفلسـطينية . . والتي كـانت تضم في عضويتهـا أحد أعضـاء منظمـة التحريـر الفلسطينية . . بل سِرُّ موقفها من القضية الفلسطينية عموما حيث تقف دائما في صف اليهود . . ليس كما يقول البعض ـ عن جهل وسوء نية ـ لأن مصلحتها في ذلك . . بل لأنها مرغمة على ذلك . . وقد صدر مؤخرا في لندن كتاب تحت عنوان (ذا براذر هوود) يلقي فيه كاتبه مزيدا من الأضواء على أسرار وخفايا الماسونية . . ولهذا الكتاب الذي وضعه البريطاني (ستيف نايت) أهمية خاصة . . إذ أنه الأول من نوعه الذي يسلط الأضواء على الماسونية البريطانية من زاوية ارتباطها المباشر بوكالـة الاستخبارات السـوفيتية (ال . ك . ج . ب .) ويُعَـدِّدْ الكاتب الأسـاليب التكتيكية المبرمجة جيدا والتي مكنت ال (ال . ك . ج . ب .) من استخدام الماسونية البريطانية البالغ عدد افراها (٧٥٠) ألف عضو . . ! والتي استطاعت بواسطتها إحداث العديد من الاختراقات البالغة الخطورة في صفوف وكالة الاستخبارات السرية البريطانية الملكية المعروفة بـ (الانتجلنس سرفيس) .

وبتوجيه من قادة (ال . ك . ج . ب) في موسكو . يضيف (نايت) قائلا : بأن الماسونيين البريْطانيين كانوا يستعملون سـلاح الابتزاز الشخصي لتـوريط القادة والمسئولين البريطانيين واجبارهم على تأدية الخدمات المطلوبة . . إذ كانوا يْعمدون إلى مراقبة الضحية لفترة طويلة بحيث يكونون ملفاً مفصلاً بكل دقائق تحركـاته وارتباطاته في حياته الخاصة والعامة إلى أن يتمكنوا من اقتناص الفرصة الذهبية لالتقاط وثائق صوتية أو بصرية تدين الرجل المعني . . وتهدد باثارة فضيحة تقضي قضاء مبرما على وضعه السياسي أو الاجتماعي أو العائلي . . وبالتالي فإنه يتحول إلى حمل وديع رهن اشارة الممسكين بعنقه . . مهددا بالوثائق التي يملكون .

وفي كتـاب (ستيفن نايت) فصـل كامـل مخصص للحـديث عن البنيـة التنظيمية للماسونية البرِيطانية . . . ليس هذا مكان بسطها . . الا انه ذكر بانها تضم عددا يناهز الثلاثة أرباع مليون عضو . . يتوزعون على عشرة آلاف محفل . . (والمحفل : هو المكان الذي يلتقي في الماسونيون في أي بلد . . لممارسة طقوسهم ومؤامراتهم . .) على رأس كل محفل منها واحدة من الشخصيات الفاعلة في الحياة العامة في بريطانيا من سياسة أو ادارية أو مالية أو صناعية أو ثقافية أو حزبية . . الخ . . على ان اخطر ما في الكتاب . . تأكيد (نايت) على وجود قاعة خاصة في المقر المركزي بشرطة (سكوتلانديار البريطانية في لندن) مخصصة لاقامة المراسيم والطقوس الماسونية الخاصة بالماسونيين والتي تعقد بصورة دورية منتظمة . .

بل ذكر بان (أربعة عشر) شخصا فقط من كبار قادة (اسكوتلانـديار) الاثنين والخمسين مايزالون خارج الاخطبوط الماسوني اليهودي . . مما يؤكد على مدى قوة النفوذ الماسوني اليهودي في بـريطانيـا . . وللعلم فان معـظم المحافـل الماسونية في العالم العربي تابعة للمحفل الأكبر البريطاني ـ كما يؤكد على مدى الترابط بين الماسونية اليهودية العالمية . . وبين الشيوعية العالمية .

أما فرنسا . . . فحدِّث عن الماسونية فيها ولا حَرَجْ . . . فقد تأسس أول محفـل ماسـوني بهـا عـام ١٧٤١ م في (دنكـرك) بـاجـازة من المحفـل الاكبـر الأنجليـزي . . وفي عام (١٧٢٥ م) تـأسس أول محفل مـاسوني في العـاصمة الفرنسية باريس . . واستمر نشاطه حتى عهد (لويس الخامس عشر) . . الذي كافح الماسونية بكل ما يملك من قوة . . لذلك شوه اليهود وأذنابه سمعته ورموه بكل النقائص . . وكان قد أصدر منشوراً عام ١٧٣٧ م منع فيه رجال حاشيته الملتحقين بالماسونية من الحضور في مجلسه . وانضم إليه البابا (الكيمندس الثاني عشر) في مكافحة الماسونية . . فأصدر في (٤٨ ابريل سنة ١٧٣٨) منشوراً شديد اللهجة يهدد فيه الكهنة وغيرهم بالحرمان إذا انضموا إلى تلك الجمعية المجرمة أو

أخذوا بناصرها .

واستمرت الماسونية تعمل في السر بالرغم من ملاحقة السلطان الفرنسية لها . . إلى أن قررت في عام (١٧٥٥) الانفصال عن التبعية للماسونية الانجليزية . . فأسسوا المحفل الأكبر الفرنسي تحت اسم (الشرق الأعظم) . . فأخذ يشرف على جميع المحافل الماسونية التابعة له . . ومن ضمنها بعض المحافل العاملة في العالم العربي . . واستمرت المحافل الماسونية الفرنسية تعمل في السِرِّ ويلفُّ أعمالها الكتمان . . إلى أن تمكنوا من تفجير الثورة الفرنسية عام (١٧٩٨) التي هي ثورة يهودية من ألفها إلىٰ يائها . .

الثورة الفرنسية . . صناعة يهودية

منذ عام ١٧٨٣ والعالم ما زال مخدراً بما سمعه وقرأه عن الثورة التي قامت في فرنسا . . وسميت بالكبرى زوراً وبهتاناً وبالفرنسية باطلاً . .

ولكن ما حيلتنا والعالم مبهور حتى اليوم بما سمعه عمن أُسموا بأبطالها ، ومأأضفي عليهم من آيات الإكبار والإعجاب ، وما أحيطت به شعاراتها ومبادئها من التقديس والتكريم ، حتى غدا أبطالها قدوة يقتدي بهم كل من يكرس نفسه للعمل في الميادين القومية والسياسية . . وأصبحت شعاراتها رموزاً خالدة . . تدور في أفلاكها الحركات التحررية في هذه الدنيا . .

يقول الماسوني ـ عزيز ميرهم ـ في كتابه (صوت الماسونية ـ صوت محفل مَنَفْ المصري ص ٢٥) ما نصه :ـ

« ولقد اتخذت الماسونية شعاراً لها من كلمات ثلاث . . (حرية ـ إخاء ـ مساواة) اتخذتها قبل أن تتخذها الثورة الفرنسية . . والذي وضع هذا الشّعار هو الفيلسوف (لويس كلود دي سان مارتين) سنة ١٧٥٠ بمحفل بوردو . . وقد تأثر هذا الفيلسوف بأستاذه اليهودي (مارتينيز باسكاليس) الذي سيطر على عقول رجال كانت لهم أثر مباشر في تكوين النظريات الماسونية . . وإذا أردت ذكر أسماء معروفة بتأثير أصحابها في الإعداد للثورة الفرنسية ذكرت الفيلسوف (هلفسيوس) والكاتب (بابي) وخطباء الثورة أمثال ـ (ميرابو ، وبريسيو ، وكاميل ديمولان ودانتون ، والطبيعي كوندرسيه . .) مكتفيا بذكر هؤلاء عن ذكر غيرهم من فحول الثورة وزعمائها بمناسبة اجتماعهم سنة ١٧٧٨ بمحفل (الأخوات التسعة)

لتكريس العلامة (فولتير) في سلك الماسونية . . » وقد اشتدَّ عود هذا المحفل بعد أن تقاطر عليه النبلاء . . وأخذ المثقفون ينضوون تحت لوائه . . ولكي يصبح في حرزٍ حريز . . عهد اليهود إلى اسناد رئاسة المحفل للأمير (لويس فيليب دورليان) وبذلك أصبح هذا المحفل قوة يُرهَب جانبها ولا يجروء أحد على المسِّ بأعضائه . . عندها شرع اليهود وأذنابهم من الماسون بدفعه في الإتجاهات التي تحقق أغراضهم . . فبدأ المحفل بنشر مبادئه المناوئة للكنيسة وللحكم المطلق . . وانتشر أعضاؤه في كل مكان يرددون على مسامع الناس ما تلقنوه من التعاليم الماسونية اليهودية . . ويحرضون الشعب على المطالبة بإعادة الدستور وإلغاء الحكم المطلق ، وإطلاق الحريات العامة . . وتقليص سيطرة الكنيسة . . إلى غير ذلك من المطالب التي انقاد إليها الشعب دون وعي أو إدراك فقامت المظاهرات الصاخبة في أنحاء البلاد ، وتعددّت أعمال الشغب والإعتداء على رجالات الدولة والكنيسة . . بينما كانت الدولة غارقة في مباهجها وملذاتها رغم أنها أُخبرت عام ١٧٨١ من قِبَل رئيس (دير ويلهمسباد) في (فرانكفورت) بأن اليهود والماسون يعملون سراً للإطاحة بالدولة . .

كما أن الشرطة البافاريّة أبلغتها عام ١٧٨٥ بأنها اكتشفت في مقر المحفل الماسوني الذي يرأسه اليهودي (مندلسون) وثائق ومخططات سريّة تشير إلى أن اليهود والماسون يسعون إلى قلب نظام الحكم في فرنسا . . ولكن الدولة الفرنسية آنذاك أهملت المعلومات الواردة إليها . . وظلت سادرة في غفلتها كأن الأمر لا يعنيها . . وهذا الإهمال شجعَّ اليهود وشركاءهم على التمادي في أعمالهم ومؤامراتهم التخريبية ـ حتى اندلعت الثورة . . وأطاحت بالملكية . . واستعاضت عنها بحكومة إئتلافية شكلت من أعضاء الجمعية الوطنية التي كانت مكونة من خليط عجيب جُلَّهم من الماسون والمُهَوَّدين . . والإنتهازيين الذين يعملون في خدمة اليهود . . والذين لا هَمَّ لهم إلا إرضاء سادتهم بغيةالحصول على أكبر قدر من المكاسب الماديّة والمعنوية على حساب الشعب الفرنسي . .

وقد اتخذ أعضاء الجمعية الوطنية قاعة مجلس النواب منبراً ليتباروا فيه في شتم الملكية والكنيسة . . بقصد كسب وُدّ اليهود . . . حتى أن (الأمير فيليب) رئيس المحفل الماسوني عندما قدم مشروع (قانون حقوق الإنسان) الذي أعلنه الماسوني (لافييت) . . أقرَّه الأعضاء في أول جلسة للمجلس الوطني بعد أن هبت الأكثرية الساحقة من أعضائها للإشادة به وفي مقدمتهم (ميرابو) الشهير بخطيب الثورة . . والذي وصف المشروع بعد أن أثنى على واضعيه بأنه خير تشريع أوجده الإنسان منذ بدء الخليقة . .

يقول الماسوني (عزيز ميرهم) في مقدمة كتاب صوت الماسونية (صوت محفل منف المصري) ما نصه بـ (وإذا سردت لَك أحداث الثورة . . فلا شك أنك واجد الماسونيين على رأس قيادتها والصانعين لمبادئها ، ناهيك مثلاً بالجنرال الميركيز (مونتيم دي لافييت) الماسوني العظيم الذي اشترك مع ماسوني آخر هو (الجنرال جورج واشنطن) في تحرير الولايات المتحدة من ربقة الإستعمار الإنجليزي . . فإذا رجع (لافييت) إلى وطنه لم يكتف بقيادة الثورة الفرنسية من الوجهة العسكرية . . والدفاع عن الوطن المحرر من غارة الجيوش الرجعية للأمم الأوروبية . . التي اتحدت لإطفاء نورها بالضغط المادي . . لم يكتف (لافييت) بأن ينصر الثورة بفنِّه العسكري . . بل نظَّمَ مبادئها ـ وكان من أعلامها المفكرة ـ لقد أعلن (لافييت) وثيقة (الإعتراف بحقوق الإنسان) فأصبحت أساساً لا يُنقض في بناء الدساتير الحديثة بإقرارها سيادة الشعب . . وجعله مصدراً لجميع السلطات . . » اهـ .

وبعد موافقة الجمعية الوطنية على هذا المشروع الماسوني . . تقدم النبيل الماسوني (دوبور) بمشروع آخر يَقضي بإلغاء كافة القيود التي كانت مفروضة على اليهود . . ومنحهَم جميع الحقوق المدنية والسياسية . . فسارعَ كل من الإئتلافي (روبسبير) والمركيز المهوّد (لافييت) والماسوني (مونيه) والراهب الكاثوليكي

المتهود (سيس) والزعيم (تـاليران) للدفـاع عن المشروع الجـديد . . وأخيـراً الراهب الكاثوليكي (غريغوار) الذي أنهى دفاعه بقوله :ـ

« أيها السادة : لا تعتقدوا بأنه يكفي اليهود أن تهبوهم حق الحياة دون أن تمنحوهم الوسائل التي تجعلهـا محتملة بعد كـل ما تحمله اليهـود من ظلمكم في الماضي ، وأرجو أن لا تورثوا أحفادَكم . . أحقادكم السوداء التي حملتموها طويلاً ضد اليهود .

أيها السادة : كفى ما تحمله اليهود من مظالمكم . . وآن لكم أن تُكَفِّروا عما ألحقتموه بهم من المآسي في المـاضي . . وأخيراً : أهيب بكـم أن تعيـدوا إليهم حقـوقهم . . وأن تعـاملوهم بعـداليـوم عـلى أسس الإخـاء . . والمســاواة . . والعدالة . . » اهـ .

ولم يكد الخطيب ينهي كلمته . . حتى أقرت الجمعية الوطنية المشروع . . وأصبح اليهود يملكون جميع الحقوق الممنوحة للمواطنين الفرنسيين .

وعلى الأثر . . ظهر اليهود على حقيقتهم . . فبادروا إلى استثمار الفرصة بأقصى سرعة ممكنة . . فأغاروا على مناصب الدولة الحساسة . . . وانتشروا في كل مكان يعملون دون هوادة لإرهاب الأفراد وإذلال الجماعات . التي تقف في سبيل هدفهم . . متخذين من شعارات الثورة البراقة خير وسيلة لتحقيق أغراضهم . . فالحرية التي نادى بها الماسونيون كان اليهود يقصدون بها استـرداد حريتهم التي كانت الكنيسة قد قيدتها في فرنسا وأوروبا عموما . .

وكان الافرنسي يفهم من المطالبة بالأخوة (الإخاء !) إيجاد التعـاون بين مختلف طبقات الشعب . . والقضاء عن الإمتيازات الخاصة . . . أمااليهود فكانوا يرومون من المناداة بها . جرّ الفرنسيين إلى المطالبة بإزالة الفوارق التي كانت تقيد اليهود وتعتبرهم أغرابا عن المجتمع الفرنسي . كما كان الفرنسي يقصد من مجاراة الماسونيين في المطالبة بـ (المساواة) تحقيق التساوي بين أفراد الشعب في الحقوق

والواجبات وإزالة الفوارق الطبقية . . واحترام تكافؤ الفرص في الوقت الذي قصد اليهود من المطالبة بها . . إستعادة حقوقهم السياسية والمدنية عن طريق تحريض الشعب إلى المطالبة بتحقيقها حتى لا يلفتوا الأنظار إلى مآربهم الخفيَّة . . التي كانت ترمي إلى الإطاحة بالملكية . . والطبقة الحاكمة . . لإحتلال مركزها في الحكم والإدارة . . ولقد نجح اليهود في ذلك أيّما نجاح . . واستطاعو تسخير الفرنسيين للعمل على تحقيق أهدافهم .

وفي هذا الصدد يحدثنا (القِسّ ليمان) في كتابه المسمى بـ (السيطرة اليهودية) فيقول :-

« بعد أن تسلح اليهود بقانون حقوق الإنسان ، انقضوا كخفافيش الظلام على خلايا الشهد التي عملت الأجيال الفرنسية العديدة على إملائها . . يمتصون رحيقها دون رحمة أو شفقة . . بينما كانوا يكيلون لأصحابها أقذر الشتائم والسباب مثل تلك التي وجهها اليهودي (لاميير) إلى الشعب الفرنسي في خطابه الذي ألقاه في المحفل الماسوني المسمى بـ (معبد الحقيقة) . . إذ قال فيه :- (إن كل الأديان عدا الدين العبراني هي ديانات مخادعة ومعيبة ، ومهينة للقيم الإنسانية ، ومُذلّة للرب نفسه . .) ولقد ألقيت هذه الشتائم المهينة للشعب الفرنسي علنا وفي أكبر قاعات العاصمة الفرنسية ، وتحت سمع وبصر حكومته ، ومع هذا لم يجرؤ أحد على الردّ عليه . . أو طلب معاقبته ، وهكذا أهينت فرنسا ولم يجرؤ أحد للدفاع عنها خشية بطش اليهودي الدخيل الذي أصبح سيدها . . » ا هـ .(انظر المفسدون في الأرض ص ١٥٦). ولم ينكر اليهود مسئوليتهم في إشعال نار الثورة الفرنسية بل يعترفون صراحة أنها من مبتكراتهم ، ويتبجحون بالتخطيط لها ، وإخراجها بالشكل الذي أرادوه . . والأدلة على ذلك أكثر من أن تُحصى . . وعلى سبيل المثال نذكر أن اليهود صرّحوا في مؤتمر عقدوه في بروكسل عام ١٩١٠ م : بأن الثورة الفرنسية قامت على أكتافهم ، وأن حلفاءهم الماسون عملوا على تثبيت أقدامهم في

الأرض الفرنسية كما أعلن اليهود في هذا المؤتمر بأن الماسونية ليست سوى مؤسسة يهودية وضعت قواعدها ومبادئها في المعابد اليهودية . . وهي دائما وأبداً في ركابهم . .

ومن هنا يتضح أن اليهود كانوا خلف كل أحداث الثورة، أمّا الجرائم التي ارتكبوها فهي تفوق حدّ التصور . . إذ أنهم لم ينسوا من شَرِّهم من كانوا يوما ما من حلفائهم ، مثل الأميرة (لامبال) التي غرروا بها يوم أن كانت في أوج عزها ، وأسندوا إليها رئاسة محفل (الأخوات التسع) الماسوني وبعد أن ناصرتهم عدة أعوام . . اتضح لها خطأ مسلكها . . فتركت المحفل والتجأت إلى أحد الأديرة لتكفّر عن ذنبها ، فحقد عليها اليهود . . ولما قامت الثورة بادروا باعتقالها ومن ثَمَّ قادوها إلى المقصلة بتاريخ ١٦ تشرين الثاني سنة ١٧٩٣ . . وفي داخل عربة نقل قذرة . . فقطعوا رأسها . . جزاء تخلّيها عن رفاق الشرِّ والسوء . .

ولم يقف الحقد اليهودي الماسوني عند حد . . بل شمل كل أنحاء الأرض الفرنسية . . أما المذابح الجماعية التي افتعلها اليهود كعادتهم فحدِّث عنها ولا حرج . . . وما مجازر قبيه والسموع وصبرا وشاتيلا إلا نماذج حية وشواهد ناطقة على جرائمهم في القديم والحديث وعند التحري عن أسباب تلك الوحشية المشوبة بروح الحقد والتي أظهرها اليهود إبان الثورة الفرنسية نجدها تعود إلى سببين :-

الأول : الثأر من الكنيسة وأتباعها .

والثاني : إرهاب الشعب الفرنسي حتى لا يجرؤ في المستقبل على التفكير بمناهضة سادته الجدد . . وعرقلة مشاريعهم . . التي ترمي إلى السيطرة على مقدرات الشعب الفرنسي المالية والفكرية ومن ثم تسخيره لتحقيق أغراضهم العديدة في البلاد الاوروبية الأخرى .

نابليون . . . واليهود

كان نابليون بونابرت أول من تصدىٰ لليهود . . فعندما استلم مقاليد الحكم في بلاده راعه ما لمسه فيها من نفوذهم . . فبادر في ٣٠ نيسان سنة ١٨٠٦ إلى الاجتماع بوزراء حكومته وبحث معهم موضوع السيطرة اليهودية ، ومن ثَمَّ وقف يخطب فيهم قائلاً :

« ليس بوسع الحكومة الفرنسية السكوت بعد الآن على استهتار اليهود بوجودها . ولن تسمح لهم أن يثابروا على اقتراف جرائمهم القذرة . بحق شعبها . ولن ترضى بعد اليوم أن يظل نفوذهم مخيماً على أجمل مقاطعاتها ـ الالزاس ـ المتاخمة للحدود الشرقية ، أيها السادة : إن الوضع الحالي لهذا الشعب الحقير في بلادنا هو وضع دولة ضمن دولة ، يعمل ما يرغب ويشاء ، ولذى أرى أن تسارع الدولة إلى تجريده من هذه المقاطعة الغالية ، ومنع مرابيه من تعاطي مهنة ارتهان الأراضي ، هذه المهنة الرهيبة التي مكنته من الإستيلاء على أكثر الأملاك الفرنسية . أيها السادة : إن هناك قرى عديدة أخليت من سكانها ، وسلّمها القضاء إلى اليهود ، مقابل دريهمات قليلة كان أصحابها الفلاحون قد استدانوها منهم بفوائد خياليّة ، ولما عجزوا عن سدادها في وقتها المحدد قاضاهم اليهود ، وسلخو عنهم أملاكهم ، ومن ثم طردوهم من أرض آبائهم وأجدادهم . . فهل يعقل أن تسكت الحكومة على هذا الإحتيال القذر ، وهل ترضون أن يترك حبل الخداع اليهودي على غاربه حتى اليوم الذي لن يبقى فيه افرنسي واحد في الوطن الفرنسي . .

أيها السادة : ألا تشعرون معي بالخطر ؟ ألا يضيركم أن تظلَّ مفاتيح ،

الالزاس ، وسترازبورغ ، في أيدي هذا الشعب المؤلف من الخونة ، والجواسيس الذين لا صلة لهم بالبلد ، ولهذه الأسباب وضناً بسلامة أمتنا أطلب إليكم أن توافقوني على اقتلاع جذور هذا الشعب اللئيم من أرض وطننا المفدى» .

ولكن . . لم يلبث نابليون أن عاد عن قراره هذا . . ولم يتمكن من الصمود في وجه الطغمة اليهودية التي عتت في بلاده . . فوقع سريعا في أحابيلهم الشيطانية . . . حتى رأيناه يستنجد بمجلسهم الأعلى ويكلفهم بوضع القوانين الخاصة بهم ، ومن ثمَّ أدخل ما وضعه اليهود من القوانين في صلب الدستور الفرنسي وراح يعلن بلا حياء أو خجل بأنه سوف يعمل على ما يمكن اليهود من المحافظة على مكاسبهم ، ليتسنى لهم العيش بسلام حتى ينسوا آلامهم القديمة الناتجة عن فراقهم لأرض كنعان !! . . لقد حقق نابليون لليهود كل ما وعدهم به ، ونفذ جميع رغباتهم حتى أصبحت فرنسا في عهده مزرعة يهودية . . والسبب الرئيسي في ذلك . . تأثير الماسون الفعّال عليه باعتباره ماسونيا قديما . . وفي هذا الموضوع كتبت المجلة الكاثوليكية في نشرتها الصادرة بتاريخ ١٩٥١ فقالت :ـ

« إن نابليون بونابرت كان أمل المخلصين من مفكري أوروبا أمثال الكاتب الكبير (هيبلر بللوك) في توحيد أوروبا ، وإنقاذها من النفوذ اليهودي ، وعندما علم بتراجُعه ومهادنته لهذه الطغمةالفاسدة قال بأسف : لقد فقدت أوروبا أملها الوحيد في تحقيق وحدتها ، والتخلص من نفوذ الدخلاء ، بانضمام نابليون إلى المعسكر اليهودي » .

وإذا بحثنا عن العوامل التي أدَّت إلى انتصار اليهود على نابليون بونابرت وعلى كل من نهج نهجه . . نجد أنها تكمن في المحافل الماسونية المنتشرة في جميع أقطار أوروبا والتي كان ولا يزال ينتسب إليها صفوة رجال الفكر والسياسة في كل بلد .

وعلى سبيل المثال نذكر أنه في عهد نابليون كان ينتسب إلى الماسونية أكبر

قـواده أمثال : مـاسينا ، ومـورا ، ولاسوبيـد وكاللرمـان ، ولوفيـير . . ومئات غيرهم . . وكانوا يعملون جميعاً لمصلحة اليهود دون أن يشعـروا . . وذلك عن طريق تنفيذهم لتعليمات المحافل الماسونية . . أوكار اليهود . إذ كان الإنتساب للماسونية في ذلك العصر . . بل وكل عصر . . من الشـروط الأساسيـة للفوز بالسيطرة السياسية . . بيد أن نابليون وقادته من الماسون . . دفعوا ثمن اعتمادهم على المحافل الماسونية إذ أن اليهود بمجرد أن سنحت لهم الفرصة بالنيل منه . . أوعـزوا إلى المحافل الماسونية بأن تتخلى عنه وإلى الرأسمالية اليهودية بقطع معوناتها المالية عن جيوشه ومن ثمَّ باعوا أسراره التي حصلوا عليها بواسطة المـاسون إلى أعدائه وأخيراً أطاحوا به وبحكمه وأصبح وكأنه ورقة جافة في مهب الريح . وقد أخطأ نابليون كغيره من ساسة أوروبا حيث اعتبروا اليهود مجرد فئة مذهبية يمكن صهرها في البوتقة الأوروبية ، وفاتهم أن اليهود يعتبرون الدين أداة للحفاظ على قوميتهم، ويتخذونـه سببا للتـرابط فيما بينهم، إنهم يتخـذون من الدين كَمحـور أساسي تدور حوله قواعد حيـاتهم وسياستهم . . بينـما يتظاهـرون أمام النـاس بالتحرر منه والإنعتاق من قيوده . . [انظر المفسدون في الأرض ١٦٨ ـ ١٧٠] كما أن هناك أسبابـا أخرى مكنت اليهـود من السيطرة عـلى زمام الأمـور في الوطن الفرنسي في غضون أقل من نصف قرن بعد الثورة الفرنسية . . كان من ضمنها تجريد الفرد الفرنسي من معتقداته ومُثُلِهِ العليا وتقاليده . . وغمسوهُ بالملذات . . التي شجعه اليهود على التردي فيها بفضل الكتب والمصادر الأدبية الملحدة والداعية للإباحية بل أغرقوه بها . . حتى استعاض بها عن كتبه الدينية المقدسة وكان كل كتاب من هذه الكتب القذرة تطبع عدة مرات لكثرة الطلب عليها . . مثل كتاب (ليون بلوم) المسمى بـ (الزواج) الذي بلغ ما بيع منه في فـرنسا وحـدها . . السبعة ملايين نسخة . .

أما سبب رواجه . . فلأنه عريق في قذارة موضوعه . . يبحث عن كل ما تشمئز منه النفس . . مـع أن مؤلفه كـان من أشهر رجـال السياسـة والحكم في

فرنسا . . وهو يهودي الدين . . ولد في بلغاريا وكان يدعى فيها بـ (بليو كارفو نكلستين) ثم هجرها إلى فرنسا حيث أبدل اسمه بـ (ليون بلوم) . . ومن ثم بزغ نجمه فجأة وأصبح من ساستها بفضل مساندة الماسون واليهود له . . ثم توصل إلى أن يكون رئيسا للوزارة الفرنسية أكثر من مرة .

انغمس المواطن الفرنسي في الملذات ولم يعد يهتم بشئون بلاده الحيوية . . . وانساق خلف المادة التي توفر له شهواته الحيوانية بينما راح اليهود يغرفون من خيرات بلادهم على هواهم . . . ويستولون على مرافقها التجارية والصناعية دون ان يعترضهم معارض . . . وبفضل اللامبالاة الفرنسية اصبحوا في فترة وجيزة اصحاب كل مصادر الرزق في فرنسا . . ووضع اليهود ايديهم على كل شيء في فرنسا وفي مقدمتها الصحافة . . التي تعتبر الركيزة الاساسية في التوجيه والتوعية القومية . . فاسسوا وكالة (هاشيت) عام ١٨٥١ التي كان يديرها قبل الحرب العامة الاخيرة اليهودي (هوراس فينالي) ووكالة (هافاس) التي تعتبر منذ عام ١٨٣٥ الوكالة الرسمية للدولة الفرنسية . . وكان يديرها قبل الحرب العامة الثانية اليهودي (شارل لويس هافاس) ومنذ ذلك التاريخ اصبحوا يتحكمون بالصحافة الفرنسية تماماً . . بل اصبحت وكراً من اوكار اليهود . . يلجأ اليها كل طريد شريد امثال (أريك رولو) وهو محرر في صحيفة الموند الفرنسية وقد حل مكان (مسيو ادوار سابلييه) في قسم شئون الشرق الاوسط للصحيفة الفرنسية الكبرى . . السالفة الذكر . . وهو كسلفه (سابلييه) يهودي ولكنه يتميز عليه بأمرين : ـ

أولهمـــا :

انه يهودي مصري عاش في مصر ولم يفارقها الا منذ سنوات الى فرنسا ليصبح اسمه هناك (اريك رولو) بعد ان كان يدعى في مصر بـ (الياهو رفول) .

والأمر الثاني : ـ

انه قد بز سلفه (سابليه) في التعصب لبني قوم اليهود . . . اذ كتب ومازال عن دولة اليهود في فلسطين مقالات عديدة داعيا العالم الى نصرتها وتأييدها حين يحس انها تعرضت للخطر . . ثم احتضن القضية الكردية ابان ثورة الاكراد على الحكومة العراقية . . وألب الرأي العام على الحكومة العراقية في حينه وغيره الكثير.

وفي صدد ما يملكه اليهود في فرنسا . . يحدثنا السيد (هيبس) ويقول : ـ

ان الاحصاء الاخير للمرافق العامة اثبت ان اليهود يملكون منها مايلي : ـ

٩٠٪ من صناعة السينما والتمثيل وصالات الترفيه .
٧٥٪ من مؤسسات الطباعة والنشر والدعاية .
١٠٠٪ من المؤسسات الصحفية .
٨٨٪ من نجوم السينما والتلفزيون هم من اليهود .
٩٢٪ من صناعة المعادن الثقيلة .
٩٠٪ من تجارة التحف الاثرية .
٩٨٪ من اموال سوق المضاربات (البورصة) .
٩٥٪ من مصانع اجهزة الراديو والتلفزيون .
٧٩٪ من اموال المصارف .
٧٥٪ من مؤسسات الترانزيت والوساطة .
٥٥٪ من المرافق التجارية المختلفة .
٥٠٪ من الصناعات الثقيلة المختلفة .

ويمثل اليهود بين مختلف المهن مثل الطب والمحاماة والهندسة نسبة مرتفعة جداً وهي تعادل نسبة ٦٠٪ من مجموع الاخصائيين في فرنسا . هذا عدا عن المراكز الحكومية المرموقة التي يحتلونها وتمتلك المؤسسات التجارية اليهودية في باريس

وحدها اكثر من خمسة عشر الف وكالة لها فروع منتشرة في انحاء البلاد . ويملك اليهود ستة خطوط حديدية من اصل سبعة خطوط عاملة . . . وفي الحرب العالمية الأولى كانوا يملكون (٢٣٨) معملاً للاسلحة من اصل (٢٤٠) معملاً كانت تعمل في البلاد . . وكان اليهودي (باروخ) هو الذي يموِّل هذه المعامل اليهودية .

وهذه السيطرة الصناعية سهلت وحققت لهم السيطرة السياسية المطلقة . . باعتبار انهم يستخدمون في مصانعهم ومؤسساتهم عدة ملايين من المواطنين الذين يتصرفون بآرائهم الانتخابية . . ولهذه القوة الانتخابية التي يملكونها ترضخ لها اكثرية رجال السياسة في البلاد . . .

وقال الكاتب الفرنسي الدكتور (ميردينالد سيلين) : - (ان فرنسا اصبحت مستعمرة صهيونية ولم يعد لنا مجال للتفكير في التخلص من سادتنا اليهود . . . اذ ان كل فكرة ترد او نزوع للخروج عليهم اصبحت فاشلة مسبقا . . لأن الشعب الفرنسي خضع لهم برمَّته . . بعد ان جعلوه لا يفكر الا بالمادة وحدها . . وبعد ان دفعوا به الى الادمان الذي اوذى به الى الكسل والتقاعس ، وهو الان مهدد بالانقراض باعتباره شعبا قليل النسل . . . ودائم التعرض لخوض الحروب التي يفتعلها سادته ويسوقون افراده الى مذابحها . . لتحقيق مطامعهم القذرة بحجة الدفاع عن فرنسا . . التي لا يملك شعبها من خيراتها اي شيء . . . بعد ان سلب اليهود كل مافيها واستعبد اهلها) انظر المفسدون في الأرض ص١٩٨ .

لقد اصبح الفرنسي عبدا ذليلا لليهود الدخلاء على وطنه بعد تلك الثورة التي سفك دماءه في سبيل انجاحها . . ليفصل فيها الدين عن الدولة . . . فكان من نتيجة ذلك ان احتل اليهودي مكانه في كل شيء . . . وكأنه المواطن الأصيل . . والأقلام الماسونية والمأجورة هي التي قلبت الحقائق الى اوهام واوهمت العالم بان هذه الثورة كانت فرنسية مائة بالمئة . . وانها اورثت الشعب الفرنسي

الحرية والاخاء والمساواة . . . واغرقته في الخير والبركات واضفت على ابطالها ومبادئها آيات الاعجاب والاكبار والثناء . . . فانطلت اكاذيبها على الفرنسيين قبل سواهم . . ومن ثم على العام اجمع . . وذلك بفضل اصرار الكتاب الماسونيين على ترديد تلك المناقب الباطلة التي اضفوها على الثورة وابطالها . . بينما لم تكن في الحقيقة الا ثورة يهودية . . . ولم يستفد منها الشعب الفرنسي الا الذل والعار . . . ومما يحز في النفس ان نجد بين مثقفي البلاد العربية من يعتقد بان هذه الثورة كانت ثورة تحررية قامت في سبيل اسعاد اهلها وشعبها . . ويتخيلون انه بامكاننا ان نعتمد على مساعدة احفاد ابطال هذه الثورة . . لحل قضايانا القومية . . ونسوا ان الفرنسيين الذين أراقوا دماءهم بغية استرداد حقهم في الحياة الحرة الكريمة فقدوا كل ما يملكونه من الحرية غداة ثورتهم وغدوا مطية سهلة ذلولة تنفذ اغراض اليهود . . ولن يسمحوا للشعبَ الفرنسي بمد يد العون لنا أو لسوانا إلا إذا كان هذا العون لا يتعارض ومصالح اليهود . .

ومن كل ما سلف يتبين لنا ان الثورة الفرنسية ثورة يهودية الخطة والاهداف . . . بل لم تبدأ الصفحة الجديدة في تاريخ اليهود في اوروبا عموما وفي فرنسا على وجه الخصوص الا بعد الثورة الفرنسية . . قال السيد (ادوار درومونت) في كتابه (فرنسا اليهودية) :-

« جاء اليهودي الى فرنسا عام ١٧٨٠ ينشد عونها وحمايتها له . . وفي عهدي الثورة والامبراطورية احتل كل ميدان فيها . . وتوغل في كل مكان وفي عهد الملكية استولى على افخم قصورها وابهاها . . . وفي عهد نابليون الثاني شارك الفرنسي فراش الزوجية . . واما في ظل الجمهورية شرع يطرده حتى من منزله ووطنه . . » .

وللتدليل على صحة ما اوردناه من حقائق . . نعزز ما اوردناه بما نشرته بعض الصحف العربية في الكويت مترجماً عن الصحف الفرنسية . . . فقد نشرت صحيفة القبس الكويتية الغراء . . الصادرة بتاريخ ١٩٧٩/٩/٢٢ تحليلين

لصحيفتين فرنسيتين هما : ـ (نوفيل اوبرفاتور) و (لوبوان) وكان تحت عنوان : ـ (فرنسا تفتح ملف الاقليات اليهودية) جاء فيه : ـ

« لا توجد في العالم اية دولة ترتبط بعلاقات قوية مع اسرائيل مثل فرنسا . . حتى امريكا نفسها ــ حيث تتمتع الطائفة اليهودية بالنفوذ والقوة . . وبدعمها الفريد لاسرائيل ـ لا تصل علاقتها الى درجة العلاقة الحميمة بين فرنسا واسرائيل . . سواء في السر او في العلن . . وفي جميع المجالات السياسية والعسكرية . . هكذا كانت العلاقة حتى عام ١٩٦٧ بالنسبة للفرنسيين اليهود الذين كانوا يشعرون بارتباطهم مع اسرائيل كفرنسيين اكثر من ارتباطهم بها كيهود . . ولم يناقش الفرنسيون في يوم من الايام موضوع ولاء اليهود المزدوج . . بل حتى الذين كانوا يعرفون بفتورهم تجاه اسرائيل داخل الجمعية الوطنية في فرنسا . . كانت ترتفع ضدهم اصابع الاتهام بانهم يعملون ضد فرنسا !! وعندما هاجمت اسرائيل مصر عام ١٩٦٧ واغلقت مضيق العقبة اكتشف الرئيس الفرنسي ديغول بان اجهزة حكومته كلها تعمل لصالح اسرائيل ؟! وان الدولة العبرية تجاهلت نصائح الرئيس الفرنسي للحفاظ على العلاقات القائمة بين فرنسا والعالم العربي . . ونتيجة ذلك قرر (ديغول) ان يوجه انذاره ويعلن اجراءاته المفاجئة . . . ـ وكلنا يعلم ماذا حصل لديغول بعد ان اتخذ اجراءاته . . ومن الذي قاد المظاهرات للاطاحة به . . . ـ ثم تقول الصحيفة : ـ

ومنذ ذلك الوقت ارتفعت علامات الاستفهام حول (الشعب المختار) المتسلط . . والغريب ان رئيسا شابا لاحدى اللجان المالية من المقربين من ديغول !! وهو الرئيس الفرنسي الحالي (يعني جيسكار ديستان) كان يخفي عواطفه نحو اسرائيل التي كانت تحاط علما بكل شيء . . الا مشاعر هذا الرجل . . لأن سفيرها في باريس والذي كان يزود بكل المعلومات . . كان قد قرر دعم الحملة الانتخابية لصالح ـ فرانسوا ميتران ـ في ذلك الوقت . . الخ » .

وقـد نجح (جيسكـار ديستان) في تلك الانتخـابات . . واصبـح رئيسا للجمهورية الفرنسية . . فماذا فعل ديستان ؟ . .

ولتعرف اجابة هذا السؤال . . ارجع الى مقال نشرته صحيفـة السياسـة الكويتية الغـراء . . . بتاريـخ ٢٤/٩/ ١٩٧٨ مترجمـا عن صحيفة (لـوبوان) الفرنسية . . وبقلم (دانيال مالو) . . وكان تحت عنوان : ـ
(ديستان اعاد الاعتبار للماسونية في فرنسا) . . جاء فيه : ـ

« ففي عام ١٩٧٤ اي قبل شهور من وصوله الى قصر الاليزيه استقبل بكل مظاهر العظمة والتفخيم من قبل الدكتور ـ بيير سيمون ـ في ـ محفل فرنسا الكبير ـ الذي يعتبر المحفل الماسوني الثاني في فرنسا . . ! وهو يلبس بذلة بيضاء . . ومنذئذ وجد الاهتمام الثقافي والفلسفي للرئيس (جسكار ديستان) بالماسـونية ! وقـد اصبح ثلاثة من الماسونيين يحتلون مناصب سياسية عليا . . اولهم : الاستاذ الكبير ـ جان بيير بروتو ـ البالغ من العمر ٤٧ سنة . . الذي اصبح وزيرا في الحكومة الحالية (اي عام ١٩٧٤) وانطلاقا من هذه القواعد الماسونية يسعى (جيسكار ديستان) الى بعث احزاب الوسط اليسارية ؟! عن طـريق توحيـد الاحزاب الـراديكاليـة الفرنسية . . ولذلك قصة طويلة لها مراحل عديدة .

ففي المرحلة الأولى : ـ تمت عملية (كايافيه) هذا الرجل الذي يمثل مركزاً مرموقا في محفل الشرق الاعظم . . اكبر المحافل الماسونية في فرنسا . . من حيث العدد . . وعضو مجلس الشيوخ . . والذي ترك حركة الراديكـاليين التي يتـولى منصب نـائب الرئيس فيهـا . . في الأول من ايلول سنة ١٩٧٥ . . امـا رفاقـه واصدقاؤه فلم يلحقوا به . . ولكن في ٢٣ ايار ١٩٧٥ قام خمسة من اعضاء مجلس الشيوخ الراديكاليين اليساريين !! بانتخاب (جان فرانسوا بونسيه) احد المقربين من الرئيس (جيسكار ديستان) رئيسا للمجلس العام . .

والمرحلة الثانية : ـ هي مرحلة الخصومات داخل محفل الشرق الكبير الذي يعتبر مِنَ المحافل اليسارية الاتجاه !؟ بالنسبة الى محفل فرنسا الكبير . . فالانتخابات التي اجريت على المناصب العليا في المحفل المذكور كانت اشبه ما تكون بالمعارك الهوميرية . . في عام ١٩٧٤ رفض رئيس المحفل (جان بيير بروتو) ان يدخل محفل الشرق الكبير المعركة الانتخابية . . ونادى بالحياد . . الذي اعتبره الاشتراكيون كاعلان حرب عليهم . . اما حلفاؤه الدكتور (سيرج بيهار) ومساعد المفوض السابق (ميشيل باروان) فقد حاولا ان يمسكا بالعصا من وسطها . . ودارت انتخابات آذار في جو من الشكوك . . وكان اهتمام الرئيس ديستان يدور حول تجنيب الاخوان (اي الماسونيين) المعارك السياسية .

والمرحلة الثالثة : تهدف الى توحيد الاسرة الراديكالية . . لقد قال احد المقربين من الرئيس الفرنسي . . لو تخلصنا من (جان جاك سرفان شرايبر) ومن المسيو (فابر) في الحركة الراديكالية العامة لامكننا ان نؤسس حركة راديكالية جديدية . . ولما كان المسيو (جاك ماردسيلي) احد اقطاب المحفل الماسوني الوطني الفرنسي الذي يعتبر اصغر المحافل الماسونية في فرنسا ولكنه المحفل الوحيد المعترف به من قبل محفل انكلترا الكبير وله علاقات دولية واسعة . . فقد سعى اصدقاءه (غي غنيسو) و (بيير براك) و (باتريس غاسناخ) من محفل الشرق الكبير من خلال معركة كبيرة خاضوها من اجل سحبه من الحركة الراديكالية العامة وحصل على الدعم المالي من المصرفي (رينيه بلا) ومن رجل الصناعة المشهور (ايوجين شامبون) وكلاهما من اليهود .

ولكن الرئيس ديستان كلف الوزير السابق (اندريه دوس) عضو المحفل الوطني الفرنسي لاتمام جهوده في توحيد الراديكاليين . ولكن هل سيتم ذلك بعد عام ١٩٨١ . ام قبل انتخابات الرئاسة الفرنسية ؟ لا تزال ابواب الرهان مفتوحة . .

وفي يوم من أيام خريف عام ١٩٧٧م دخل ثلاثة من كبار أقطاب الحركة الماسونية أبواب قصر الأليزيه . . فقد جاءوا على رأس فريق من الماسونيين يبلغ تعداده حوالي الخمسين رجلا . للاشتراك في اجتماع المجلس الكبير الأعلى الذي يضم كافة أقطاب المحافل التي يعترف بها محفل انجلترا . . وقابل الرئيس ديستان وفدا عن المجتمعين غير أن هذا اللقاء لم يرد في برامج الرئيس الرسمية في قصر الأليزيه واللقاء الذي كان من المقرر أن لا يتجاوز ثلاثين دقيقة تجاوز الساعة .

وكان محور النقاش والدفاع عن العالم الحر!!؟وهذا يعني أن الرئيس ديستان الكاثوليكي المذهب. . والذي حرص في السابق على أن يبقى على صلاته بالماسونية في حيز السرية . . خرج عن هذه القاعدة . . وحينما يتحدث رئيس الجمهورية الفرنسية عن الالف الثالث وحينما يشرح الديموقراطية الفرنسية ويقول : ان التطور الراهن لن يؤدي الى مواجهة بين البرجوازية والعمال على الرغم من التناقض والعداء القائم بين هاتين الطبقتين . . لأن كتلة وسطى ستنمو بسرعة وتتوسع بصورة تدريجية وسلمية بحيث يحصل الاندماج بين كافة طبقات المجتمع الفرنسي انه في الواقع يستعمل تعابير مستمدة من روح الماسونية وبخاصة عندما يوكد على التسامح !! باعتبار ان الماسونيين انفسهم حماة التسامح !؟ ثم يتساءل كاتب المقال الذي نشرته السياسة قائلا : -

قبل شهر من الانتخابات اين يمكن لرجال الاكثرية الحاكمة والمعارضة ان يتحدثوا مجتمعين إنهم يلتقون في المحفل الماسوني ؟!

وأين يمكن لكبار الموظفين أن يعدوا لاستمرار الجمهوريين في الحكم في سرية تامة ؟ ويضعوا الحلول في حالة الوصول للحكم . . بالطبع في محفل كبار الموظفين الذي يضم ١٥٠ عضواً . . وأين تنشر المعلومات السرية ؟ في المحفل الماسوني الذي يضمن النواب والشيوخ - (٨٠ عضواً) هذا ما يقوله أحد أقطاب الماسونية في فرنسا . . .

والواقع ان الماسونية في فرنسا مرت بمرحلة عصيبة بعد الحرب العالمية الثانية استمرت لمدة ثلاثين سنة . . فقد كانت قوية جدا في عصر الجمهورية الثالثة وفي عهد الجمهورية الرابعة . . اما في عهد الجمهورية الخامسة فقد اهملها الجنرال ديغول . . » الواقع ان هذا الكلام مخالف للحقيقة لأن الماسونية انتعشت في عهد الجنرال ديغول . . فقد منع قانون وقعه المارشال بتّان في ١٣ آب سنة ١٩٤٠ (الجمعيات السرية) وقرر حجز املاكها . . وحل مرسوم في ١٩ آب ١٩٤٠ الشرق الكبير ومحفل فرنسا الكبير كما حلّ في ٢٧ شباط ١٩٤١ المحفل الوطني المستقل الكبير . . واخوية حق الانسان . . ونص قانون في ١١ آب سنة ١٩٤١ على نشر اسماء اصحاب المناصب ـ ضباط المحافل واصحاب المراتب العالية ـ في الجريدة الرسمية . . وطبق عليهم نظام اليهود الذي منعهم من ممارسة الوظائف الرسمية . . وفي ٢٢ ايلول سنة ١٩٤٣ انتدب الاستاذ (ميشال دومنيل ده غرامون) الاستاذ الكبير لمحفل فرنسا الكبير لتمثيل المجلس الوطني للمقاومة في الجمعية الاستشارية المؤقتة في لندن ثم صدر قرار بفضل نشاطه في ١٥كانون الأول سنة ١٩٤٣ وقعه الجنرال ديغول الغى فيه قانون ١٣ آب سنة ١٩٤٠ والاحكام اللاحقة به والخاصة بالجمعيات المسماة سرية . . فادى ذلك الى انتعاش النشاط الماسوني مع تحرير الاراضي الفرنسية » ثم تقول جريدة السياسة : ولم يبال بها الرئيس بومبيدو . . والرئيس ديستان هو اول من حاول اعادة الاعتبار اليها . . اما اعضاء الماسونية في فرنسا . . فيبلغ عددهم حوالي (٥٠ الف عضو) ثلثاهم قد تجدد خلال السنوات العشر الماضية . . . ومتوسط اعمارهم الاربعينات وتضم محافلهم الشباب والشابات بشعورهم الطويلة !! وبنطالات الجينز والقفازات البيضاء والارواب شعار الماسونيين . .

ان عمل الماسونيين قد يثير هزء بعض الناس او قد يثير اشمئزاز بعضهم الآخر . . ولكنه يثير اهتمام كل انسان .

يقول احد اقطابهم : ـ ان اعمالنا لا تقتصر على المناقشات الفكرية المجردة . . . فاخواننا ومعظمهم من الموظفين والاستاتذة يحاولون الغوص الى عمق الاشياء . . والوصول الى نتائج ايجابية ولذلك تحتل الاعمال الماسونية موقع الطليعة في الحركات الفكرية **فالتخطيط الاسروي ومنع الحمل والاجهاض يعود اليهم** . وعندما يطالب السناتور (هنري كايافيه) بالحق في اختيار الموت الى ان يقول كاتب المقال : ـ وعلى اية حال يشعر الماسونيون في فرنسا انهم في حالة جيدة) انتهى مقال السياسية . . وهذا بالطبع يمثل رأي كاتب المقال . . اما نحن فنرى ان الماسونيين في حالة ممتازة بعد قيام الثورة الفرنسية . . وبيدهم مقاليد كل صغيرة كبيرة في فرنسا . . من اقصى اليمين الى اقصى اليسار واقرأ معي ما نشرته صحيفة الانباء الكويتية الغراء بتاريخ ١٤/٩/١٩٨١ نقلا عن صحيفة (لوماتان) الفرنسية حيث قالت وبالحرف الواحد تحت عنوان (دور الحركة الماسونية في حكومة ميتران) جاء فيه : « اعلن (روجيه ليراي) احد زعماء الماسونية في فرنسا ان مشاريع الحكومة تتفق مع اهتمامات حركة الماسونيين . . وكانت هذه التصريحات اثناء الحملة الانتخابية الرئاسية الاخيرة ثم قالت الصحيفة الفرنسية : ـ لاشك ان نفوذ الحركة الماسونية الادبي والعمل الشخصي الذي قام به العديد من الماسونيين المنتمين للحزب الاشتراكي ـ حزب فرانسوا ميتران ـ قد ساهما في نجاح ـ ميتران ـ يوم ١٠ مايو سنة ١٩٨١ . . ثم ان احد كبار زعماء هذه الحركة يعترف رغم مساندته السابقة ـ لديستان (الرئيس الفرنسي السابق) ـ ان هدف الماسونيين التطور . . وطالما كانت الاشتراكية !؟! تمثل نوعا من التطور . . فان الماسوني معني بهذا الأمر . . الى ان يقول كاتب المقال : ـ

(ليس من قبيل الصدفة ان نجد العديد من الماسونيين في كل مستويات السلطة سواء في الوزارات او البرلمان . .) ثم يقول : ـ

(ان التغييرات السياسية التي حدثت منذ ١٠ مايو الماضي وضعت عدداً كبيراً من الماسونيين في واجهة الحياة العامة . . ففي حكومة (ريمون بار) الأخيرة لا نجد

سوى ماسونيين اثنين احدهما : ـ جان بيير بروتو ـ الرئيس السابق لحركة الشرق الكبير الماسوني الفرنسي . . اما في حكومة (موروا) الثانية فهم تسعة او عشرة او اثني عشر حب مختلف المصادر . . لأننا لا نجد اتفاقا حول الانتماء الماسوني لهذا الوزير او ذاك . . فالاسرار الماسونية كثيرا ما تذاع لكنها لا تخضع لدقة الاحصاء . . ان انتماء بعض الوزراء الى الماسونية معروف مثل (شارل هرنو) ! وزير الدفاع الفرنسي . . و (ايفان رودي) وزيرة حقوق المرأة (وفرانسوا اياري) سكرتير الدولة للسياحة .

ثم اننا نجد في ادارة الوزارات عددا كبيرا من الماسونيين في الشئون الاوروبية وغيرها . . وحول (فرانسوا ميتران) و (موروا) ثلاثة من زعماء حركة الشرق الكبير الماسوني وهم : ـ روجيه فاجاردي صديق (موروا) القديم . . . وجان ميشال روزنفيلد المقرب من كريستان بيري . . و (غي بين) المستشار الفني المكلف بالملف الافريقي .

اما في البرلمان . . فان الانتخابات الرئاسية الاخيرة زادت في عدد الماسونيين الذين يتزعمهم حاليا السناتور (هنري كايافيه) ونجد اليوم ما يقابل (مائة وعشرين)برلماني مقابل (ثمانية)قبل الانتخابات الأخيرة. . كما نلاحظ أن حركة الشرق الكبير الماسوني فازت بنصيب الاسد . . ينتمي اليها اكثر من ثلثي الماسونيين في البرلمان . .) وتختتم الصحيفة مقالها قائلة : ـ

(ويقدر عدد الماسونيين المنتمين الى الحزب الاشتراكي ؟! بخمسة عشر الف شخص تقريبا . . لكن الماسونيين يؤكدون ان وجود نسبة كبيرة منهم في قيادات الحزب الاشتراكي ليس ناتجا عن مؤامرات !؟ او مناورات . . فنظامنا يفكر ويدرس منذ سبعة او ثمانية اجيال . . وليس من الغريب اذن ان تخرج هذه الحركة بضعة الاف من الرجال الذين فرضوا انفسهم بفضل خصالهم الذاتية باعتبارهم قادرين على القيام ببعض المسئوليات . . هذا ما قاله احد المقربين من

رئيس الوزراء . .) انتهى المقال .

ولعل ما اوردناه كاف للدلالة على ان فرنسا منذ قيام ثورتها سقطت جثة هامدة في احضان اليهود . . وانهم لم يستطيعوا التمكن من فرنسا التي طردتهم اكثر من مرة الا بفضل الماسونية ـ مطية اليهود ـ التي روجت لشعار العلمانية . . الذي يقضي بفصل الدين عن الدولة . . ولشعارات الحرية والاخاء والمساواة . . ونكتفي بالاضواء التي سلطناها على الماسونية في بريطانيا وفرنسا . . لأن الأولى هي التي انتشر منها النشاط الماسوني إلى أوروبا وأمريكا وبقية دول العالم . . وفي الثانية قامت الثورة الفرنسية التي روجت لشعار العلمانية . . ومن كل ما سبق يخلص بنا القول الى ان فكرة فصل الدين عن الدولة واعطاء ما لقيصر لقيصر وما لله لله . . انما كانت نتيجة للصراع الدموي الذي نشب بين السلطتين الروحية والزمنية من جهة . . وبينهما وبين اليهود من جهة أخرى . .

فانطلقت في بلادنا منذ زمن أصوات المأجورين من زبانية الماسون . . أوربما البُله المغفلين . . مُرجِّعةً أصداء ذلك الصراع البعيد الذي نشب في أوروبا وفاتهم أن الإسلام الحق . . لم يشهد قط أي صراع بين رجال الدين أو رجال الحكم كذلك الذي نشأ في أوروبا إن لم يكن في الاسلام أصلا فئة تدعى رجال الدين . . فلا كهنوت ولا اكليروس ولا رهبانية في الإسلام . . فالإسلام يعتبر كل فرد من أفراده رجل دين . . إن تحققت في نفسه وسلوكه تعاليم الدين الحنيف . . كما أن الإسلام لا يفرِّق في الوقت ذاته بين الدين كعبادة ، والدولة كحكم . . بل يجعلهما سببا لعلة واحدة . . وهي إظهار الحق . . قال تعالى :ـ ﴿ **الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور** ﴾ ولقد ظهرت هذه الصورة واضحة أيما وضوح خلال حياة رسول الله ـ ﷺ ـ وصحابته الكرام ـ رضوان الله عليهم ـ وتابعيهم البرره في تاريخ الإسلام الطويل . . فكانوا رجال حرب ومحراب . . رهبانا في الليل وفرسانا في النهار . .

يؤمون الناس في مساجدهم ويقودونهم في حربهم ونزالهم لأعدائهم . . وكذلك لم يكن هناك نزاع بانعدام أسبابه . . وبخلوٍّ واقعه من هيئة اكليروس . . وهذا لا يعني أن الحكام في الإسلام حاكمون بأمرهم . . وليس لأحد سلطان عليهم . . فالإسلام ترك الحق كل الحق للشعب في محاسبة الحكام . . بل جعل محاسبتهم جهاداً يثاب عليه المسلم . . قال عليه الصلاة والسلام :ـ « أفضل أنواع الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر » وهذا أمير المؤمنين عمر يأمر بقتل الخليفة المنحرف فيراجعه طلحة قائلاً (فهلا قلت لو انحرف اعزلوه) فيأبى عمر ويقول : (لا . . القتل أنكلُ لمن بعده . .) أي : يردّ من بعده عن الإنحراف . . فليس في تراثنا ظل الله على الأرض . . وقد حرص المسلمون على تسمية سلطانهم (خليفة رسول الله . . لا خليفة الله . .) ورسول الله ﷺ لا يمت للإلوهية بشبهة . . بل هو بشر يمشي في الأسواق . . ويكلِّم الناس . . . كما وصف نفسه . . إلاّ أنه يتميز عن البشر بالوحي الذي اختص به . . وبالتالي فلا قدسية لخليفته الذي لا يوحي إليه . . والطاعة المفروضة هي بسبب العقد القائم بينه وبين الأمة عند انتخابه أو مبايعته . .

وقد أجمع فقهاء الإسلام في المذاهب التي حكمت معظم تاريخنا على حق الشعب في خلع الخليفة . . بل محاكمته . . والباقلاني . . يستنكر قتل عثمان . . ويؤكد أن الثائرين كان عليهم : (القبض عليه لما أخذوه وتمكنوا من داره أو حبسه وإبعاده . . أو أخذه بغاية الإرهاب لِخلع نفسه لو كان مستحقا للخلع . .) أي : إجباره على الإستقالة كتب الباقلاني ذلك منذ مئات السنين .

وعلى هذا فإن تاريخ الإسلام وواقعه مختلفان تمام الإختلاف عن واقع المسيحية وتاريخها . . فلماذا نؤخذ بجريرة جرم ارتكبه رجال الدين المسيحي في عهود غابرة ؟ ! .

دعاة العلمانية في العالم العربي

قد تبدو الدعوة العلمانية دعوة بريئة تقدمية للوهلة الأولى ولكنها في الحقيقة - وكما أسلفنا - دعوة ماسونية يهودية رفعت الماسونيـة لواءهـا علنا وحمّلت الـراية لأذنابها وذيولها . . ونظرة سريعة إلى حاملي لواء العلمـانية في العـالم العربي . . تعطينا الدليل على سوء نيتهـم تجاه هذه الأمة . .

١ ـ يقـول الماسـوني المصري - عـزيز ميـرهم - أستـاذ محفـل منف المصـري في مقدمةكتابه (صوت الماسونية) ما نصه :-
« إنني أذكر مع الفخر ماسونيين عظيمين هما : ماتزيني وغـاريبالـدي . . اللذين كان لهما الفضل في تكوين الوحدة الإيطالية . . وهدم السلطة المدنية البابوية . . وإخراج الدين من المسائل القومية . . ورفع لواء العلمانية »

٢ ـ جاء في مجلة أكاسيا الماسونية الصادرة عام ١٩٠٣ ما نصه : (ان النضال ضد الأديان لا يبلغ نهايته إلّا بعد فصل الدين عن الدولة . .) وجاء في عدد آخر من المجلة ما نصه : (ان طريقتنا السياسية هي الحرب ضد الأديان . . وإيجاد حكومات علمانية) .

٣ ـ ثم كان النصراني (فرح انطون) من أوائل من نادى بالعلمانية في العالم العربي بعد الماسونية - ولعل ذلك بوحي منها - وذلك في كتابه (ابن رشد وفلسفته) .

٤ ـ ثم تبعه الشيخ (علي عبدالرزاق) في كتابه (الإسلام وأصول الحكم) فذكر أن الإسلام ليس إلّا دعوة دينية فحسب . . أي مجرد اعتقاد وصلة روحية بين الفرد وربه . . فلا تعلق له بالشؤون المادية ولا بالسياسية ولا الإجتماع ولكن

علماء الأزهر كانوا له بالمرصاد . . وعقدوا له محاكمة أمام هيئة كبار العلماء في ١٢ أغسطس ١٩٢٥ م وجردوه من درجته العالية التي منحها له الأزهر الشريف . .

٥ ـ قال النصراني ـ أنطون سعادة ـ مؤسس الحزب القومي السوري الإجتماعي في كتابه (المحاضرات العشر ص ١٠٠ ـ ١٠٣) ما نصه :ـ
« إن أعظم عقبة في سبيل تحقيق وحدتنا القومية وفلاحنا القومي هو تعلق المؤسسات الدينية بالسلطة الزمنية إلى أن يقول :ـ إن الدين يصلح للإنسان حين كان لا يزال في طور بربريته أو قريباً منها . . أما في عصرنا الثقافي فإنه لم يعد يصلح »

٦ ـ قال النصراني ـ ميشيل عفلق ـ مؤسس حزب البعث العربي الإشتراكي ـ بالتعاون مع النصيري زكي الأرسوزي وآخرون ـ في كتابه (في سبيل البعث) ما نصه :ـ (فالعلمانية التي نطلبها للدولة هي التي تحرر الدين من ظروف السياسة وملابساتها . . » .

٧ ـ قال ـ فضل شلق . في المؤتمر الذي دعا إليه المركز العربي لدراسة العلمنة . . والذي انعقد في بيروت ٢ ـ ١١ فبراير عام ١٩٧٦ م ما نصه « أتكلم كماركسي لينيني ماوتسنغي !! وأقول :ـ أنه لا يمكن بناء الإشتراكية ولا حتى أن نصبح بشراً من دون أن نتمثل قيم الغرب . . !! الليبرالية البرجوازية . . وأعني بتمثل قيم الغرب : العلمانية الديموقراطية . . وحتى القومية . . . أنها مفاهيم غربية . . ولكنها ضرورية . . » .

٨ ـ قال البطريرك خريش ـ رئيس الكنيسة المارونية في لبنان ما نصه . . ونشرته صحيفة الحوادث :ـ
« إذا أردنا أن نبني لبنان الجديد بصراحة وصدق فلا حلَّ أمامنا إلا العلمنة . .

أنا بطريرك . . ولا مانع عندي من قبول العلمنة ثم يقول :
والعلمنة تعني : أن لا تتخذ الدولة دينا رسميا وعندما يكون في بلد واحد مجموعة طوائف . . فالإتجاه القومي . . يقضي بفصل الدين عن الدولة . . وإذا أردنا الديموقراطية فهذه لا تكون ولن تكون في شكل صيغة سلمية بدون علمنة . . ولذلك فليس أمامنا في لبنان إلا العلمنة . .

٩ ــ وكان حزب الوفد في مصر . . ولا يزال ـ من المنادين بالعلمانية . . ومن المعروف أن زعيم حزب الوفد في مصر هو (فؤاد سراج الدين) الذي كان الى سنة ١٩٦٤ م ـ وبعد قيام الثورة المصرية عام ١٩٥٢ م بسنوات ـ سكرتير المحفل الماسوني الأكبر الوطني المصري . .

١٠ ــ ثم قام الدكتور ـ صادق جلال العظم ـ بتنشيط الدعوة للعلمانية بعد هزيمة القوميين عام ١٩٦٧ وذلك في كتابه ـ نقد الفكر الديني ـ الذي ردد فيه تصورات استشراقية تبشيرية لم تعد مقبولة حتى بين المستشرقين والمبشرين أنفسهم ـ وعنه ينقل معظم مهاجمي الفكر الديني من العلمانيين وغيرهم في صحف الكويت وغيرها .

وقد استهدف الإسلام لحملة ضارية من هؤلاء الدعاة للعلمانية وذيولهم . . . وحمّلوا الإسلام ما أسموه بـ (العقلية الدينية والعقلية الغيبية) وزر الهزيمة التي منيت بها الأنظمة ، والتي لم يكن لها أي محتوى إسلامي يذكر . . الأنظمة التي كانت علمانية بدرجة أو بأخرى . . والتي كان يقودها ويوجه سياستها الداخلية والخارجية رجال قوميون علمانيون وأجهزة علمانية . . وفي الحقيقة أن العلمانيين هم الذين قادوا العرب إلى الهزيمة . . وأرادوا أن يقدموا للرأي العام ضحية تغطي على هزيمتهم وهزيمة فكرهم القومي . . فلم يجدوا إلا الإسلام كبش فداء . .

فحملوه مسئولية الهزيمة . . وهو منها بريء براءة الذئب من دم ابن

يعقوب . . لأنه لم يكن له دور . . بل لم يتركوا له أي دور في حربهم مع عدوهم . . ولا في أي وجه من وجوه سياساتهم . .

ومما سلف يتبين لنا أن بعض المنادين بالعلمانية في عالمنا العربي فئات بعيدة كل البعد عن ضمير أمتنا . . وحفنةأجيرة بل طلاب فاشلون ينفذون رغبات أساتذتهم بذلة وخساسة والذي يعرف انتماءاتم الدينية يعرف حقيقتهم حق المعرفة . . وهمهم الوحيد إبعاد المسلمين عن دينهم . . لأن ليس لهم دين يحرصون عليه . . وللدلالة على أن الإسلام هـو المستهدف إقـرأ معي قول الماركسي (فضل شلق) حيث يقول :

(لم تنشـأ حتى الآن في الوطن العـربي حركـة نقديـة ذات جذور شعبيـة عميقة . . ولم يتجرأ المثقفـون العرب بشكـل عام عـلى مواجهـة الايديـولوجيـة السلفية ! التي تشكل الركيزةالأساسية لانهيار أمتنا واهترائها . . واستمرار تخلفها وتجزئها . . ولذلك فإنه حتى الأحزاب التي اعتبرت ثورية لفترة طويلة لم تتجرأ على إعلان الدولة العلمانية . . ولم تكن مصادفة أن دولة أقامها تقدميون وفي دستورها أنَّ (دين الدولة الإسلام . .) أو أن (دين رئيس الدولة هو الإسلام . .) فالثورة السياسية العربية في غالب الأحيان لم تكن نتيجة نظرة ثورية شاملة . . ولم تهدف إلى خلق مجتمع جديد ؟! وتحطيم البنى الايديولوجية !! والإجتماعية القديمة !! وحتى الماركسيين العرب لم يقوموا بهذه المهمة حتى الآن . .) انظر ص ٦٠ في كتاب (لبنان الآخر) .

وقد لا يستغرب الإنسان أحيانا أن يأتي نصراني أو نصيري أو يهودي تحت ستار حزب من الأحزاب القومية أو الماركسية وينادي بفصل الدين عن الدولة أو إبعاد الإسلام عن سدة الحكم والإدارة . . . ليستطيع الوصول إلى المركز الذي لن يصل إليه في بلاد المسلمين ما دام الإسلام هو الحاكم . . . لكن الذي نستغربه ونستنكره أشد الإستنكار أن يأتي مسلم ويساعدهم على ذلك . . . فالعلمنة . .

جزء من تقليدنا للغرب . . ومرتبطة بالغزو الثقافي الأجنبي . . وفيها إذلال لروح الأمة العربية المسلمة ولقدراتها الذاتية . .

ولعل صورة أذناب المبشرين والمستشرقين والماسونيين اليهود قد اتضحت الآن . . والذين انبثوا في كل ناحية من مناحي حياتنا السياسية والثقافية والإجتماعية . . وكل منهم في لباس يتنكر فيه . . ليؤدي مهمة هو مكلف بها طبقا لدراسة مخططة . . تأتي في مواقيت بعينها . . مندسة في الإنتفاضات الكبرى أو الثورات الوطنية الشريفة . . لتقضي على كل انتفاضة وثورة . . أو تحوِّلها عن صحيح أهدافها . . أو لتعيقها عن السر في الطريق الذي كان ينبغي أن تسير فيه إلى غاياتها . . كما حصل مع منظمة التحرير الفلسطينية حيث زين لها بعض المندسين في صفوفها رفع شعار الدولة الديموقراطية العلمانية . . وما كان أغناها عن ذلك .

حقيقة الدولة الديموقراطية العلمانية

تعتبر كارثة فلسطين من أكبر حوادث التاريخ بوجه عام والتاريخ العربي الإسلامي بوجه خاص . . لأنها أفظع خطب حل بالعرب المسلمين في تاريخهم الحديث . . وأعنف صدمة تلقوها منذ قرون .

وهذه الكارثة عميقة الجذور بعيدة الآثار دائمة الأخطار . . فلذلك لابد من الإسراع في معالجتها ودفع أخطارها . .

ولا يستطيع أحد أن ينكر أن أبناء فلسطين كانوا أول من تنبه لهذه الأخطار . . فحاولوا دفعها بوسائلهم المتاحة متحملين ظلم ذوي القربى وطغيان اليهود . . واكتووا بنار فظائعهم . . وتسنموا أعواد مشانق الإنتداب البريطاني البشع . . وذهب الكثير منهم إلى رحمة الله ورضوانه في لقاء كريم مع الرصاص في صراع الثورات الرهيبة . . فتضحياتهم امتدت عبر التاريخ وما تزال . . وكأن القدر فرض على سكان ذلك القطر العربي المسلم أن يكون على حلف مع التضحية وعلى رفقة مستمرة مع الجهاد والإستشهاد . .

واستمر الحال على هذا المنوال . . إلى أن قامت الثورة الفلسطينية ـ الفتح ـ عام ١٩٦٥ وصدر بيانها الأول يقول في سطوره الأولى : (اتكالاً منا على الله ، وإيمانا منا بحق شعبنا في الكفاح لاسترداد وطنه المغتصب وإيمانا منا بواجب الجهاد المقدس . . وإيمانا منا بموقف العربي الثائر من المحيط إلى الخليج . . وإيمانا منا بمؤازرة شرفاء العالم . . فقد تحركت أجنحة من قواتنا الضاربة في ليلة الجمعة ٣١ ديسمبر سنة ١٩٦٤ م . . الخ) .

ومحال أن تصدر هذه العبارات عن ماركسين أو متأثرين بالماركسية أو قوميين إلى آخر ما هنالك من حثالات ايديولوجية في الساحة العربية . . . فالبيان لم يصدر إلا من مناخ إسلامي صرف . . يعلم ذلك كل من كانت له صلة مـامن قريب أو بعيد بأولئك المجاهدين الأبطال . . وفوجىء الرأي العام العربي والعالمي بذلك البيان الذي أذاعته الفتح . . عن أولى عملياتها الفدائية ـ رغم الحصار الإعلامي ـ وأخذت التساؤلات تتلاحق . . من هم أعضاؤها ؟ . . وكيف تكونت ؟ ومن يموّلها ؟ وأخذت إسرائيل ترغي وتزبد . . وارتفع صوتها مهدداً الدول المجاورة لفلسطين إذا لم تعمل على وقف العمل الفدائي المتمثل في (الفتح) وفي جناحها العسكري (العاصفة) لقد هال إسرائيل وذيولها أن يوجد أناس يقاتلونها بوحي من الإسلام . . الذي وصف الشهداء بأنهم أحياء عند ربهم يرزقون وبأنهم يحشرون مع الأنبياء والصديقين والصالحين وحَسُنَ أولئك رفيقا فأوحت إلى أذنابها من قوميين وماركسين أن يندسوا في صفوف هذه الثورة ـ كما كشفت ذلك أحداث بيروت الأخيرة ـ ليحرفوها عن صحيح أهدافها . . أو يشقوا وحدة الصف فيها ـ كما حصل ـ لمعرفتهم الأكيدة لما للدين من أثر هام في حياة الأفراد والجماعات . . فالدين من العوامل الهامة التي تحرك الأمم وتدفعها للسير بخطى حثيثة في موكب التاريخ نحو المجد والسؤدد . . بالإضافة إلى ما يوجده في المجتمع من تآلف وتعاطف ينتج عنهما وحدة فقوة تمنع اليهود وذيولهم من الاصطياد في الماء العكر لتحقيق أهدافهم . . وبالفعل استطاع الكثير من هؤلاء ـ كما بينت الأحداث التي مرت بها الثورة الفلسطينية مؤخراً ـ الإنخراط في صفوف الثورة الفلسطينية . . . وخاصة بعد معركة الكرامة . . وأحداث ايلول الأسود فتسللوا إلى أجهزة الثورة المختلفة . . واستطاع هؤلاء أن يزينوا لقادة الثورة الفلسطينية أن المناداة بـ (الدولة الديموقراطية العلمانية) قد يحل المشكلة بين العرب واليهود . . على غرار الدولة اللبنانية . . وتناس هؤلاء أن الخلاف في لبنان هو خلاف ديني طائفي فحسب . . أما القومية فهي مشتركة بين اللبنانيين . . وهي تشملهم على

اختلاف طوائفهم . . وقد ثبت فشل الفكر القومي في توحيد القوميين . . أما في فلسطين . . فالأمر مختلف تماما . . لأن التناقض ليس طائفيا فحسب . . وإنما هو عرقي وقومي وايديولوجي معاً . . وسواء أكان هذا الشعار الـذي رفعته الثـورة الثـورة الفلسطينيـة هدفـا تكتيكيا مـرحليا لتكسب الـرأي العـام . . أم هـدفـا استراتيجياً . . فإنه مرفوض من قِبَل الأكثرية المسلمة في المنطقة جملة وتفصيلاً . . ومن حقنا ديموقراطيا أن نرفضه . . لأننا إذا وضعنا التفاصيل لهذا المشروع . . أي إقامة الدولة الديموقراطية العلمانية . . فإن غالبية سكان فلسطين المحتلة حاليا من اليهود . . بعد أن كانوا عام ١٩٠٧ م لا يشكلون من مجموع اسكان العرب إلاّ ٧٪ (سبعـة بالمئـة) . . وعلى فـرض أن العرب الفلسـطينيين سيعـودون جميعـا إلى فلسطين . . فإنهم مع ذلك سيظلون أصغر حجـماً من اليهود . . ومـا دام الأمر كـذلك . . فـإن نفوذ اليهـود سيكون هـو الطاغي عمليـا عـلى دولـة فلسـطين الديموقراطية . . وبعض العرب يأملون بـأن التناسـل العربي والتكـاثر السـريع سيحول العرب إلى أكثرية عددية بعد وقت قصير وقد يكون هذا صحيحا . . لكن اليهود ليسوا غافلين عن ذلك وهم بحكم أكثريتهم الحالية . . وسيطرتهم عـلى أجهزة الدولة المختلفة سيعملون على إبقاء عددهم أكثر من غيرهم . . كما فعلوا بتهجير يهود الحبشة ـ الفلاشا ـ بالتعاون مع (العبد الآبق) وكما سيفعلون بتهجير يهود الهند وغيرها . . فالمطالبة إذن بقيام الدولة الديموقراطية العلمانية هو في حدّ ذاته قبول بقيام دولة فلسطين المحكومة من قبل اليهود . . !

وهذا ما عبر عنه (العربي بوهالي) زعيم الحزب الشيوعي الجزائري بقوله : (ولا شيء يحرجني إطلاقا من أن أقول علناً بأنني أرى من الطبيعي أن يكون رئيس دولة الغد الفلسطينية الديموقراطية العلمـانية . . يهـودي منتخب . . وأن تكون الأكثرية اليهودية ممثلة ديموقراطيا بنسبة حجمها السكاني . . وفي كل أجهزة السلطة من أعلى إلى أسفل . . ا هـ)

ونحن نقول : لا حرج لديه إطلاقا . . وهو الذي كان يقف مع سلطات الإحتلال الفرنسي ضد ثوار بلاده في الجزائر . . كما أثبت ذلك وبالوثائق . . (الأستاذ حكم دروزة) في كتابه العظيم (الشيوعية المحلية ومعركة العرب القومية) . . . كما أنه تعوَّد على رؤية اليهود في الأحزاب الشيوعية العربية وغيرها ممثلين في أجهزة الحزب من أعلى إلى أسفل . . .

إذن فالهدف الوحيد الذي توخاه هؤلاء حينما زينوا لقادة الثورة الفلسطينية رفع هذا الشعار الذي لن يقبل به المسلمون العرب ولا اليهود . . لأنهم لن يضعوا دراهمهم في صندوق يعرفون الغاية من تنجيره . . يتلخص في أنهم :

عندما رأوا التفاف الجماهير العربية والإسلامية بالثورة الفلسطينية الفتح . . من المحيط إلى الخليج . . ازداد هلعهم وفزعهم فتصبح اسرائيل ـ واحة الديموقراطية في الشرق الأوسط كما كان يصفها الشيوعيون العرب في منشوراتهم ـ أثرا بعد عين . . وهم لم يُوجَدوا أصلاً في الساحة العربية إلاّ للعمل على إيجاد إسرائيل وحمايتها . .[1]

فزينوا لقادة الثورة رفع هذا الشعار لتنصرف الجماهير المؤمنة عن تأيد الثورة . . والثورة من غير جماهيرها كالسمك من غير ماء . . لأن هذه الجماهير ليست مستعدة أبداً للتضحية بمالها وأرواحها في سبيل دولة سيكون نفوذ اليهود هو الطاغي فيها . .

وفي يقيني أن الثورة الفلسطينية ـ إن أرادت الإنتصار على اليهود وأشياعهم وأذنابهم ـ فما عليها إلاّ أن تستلهم روح بيانها الأول . . وتعلن الجهاد المقدس بإخلاص . . وحينذاك لن يتخلف مسلم واحد في مشارق الأرض ومغاربها عن أداء فريضة الجهاد التي يعتبرها بعض الفقهاء الركن السادس من أركان الإسلام . .

(١) انظر كتابنا (دور اليهود في تأسيس الاحزاب الشيوعية العربية) وهو قيد الطبع.

إنهم إن فعلوا ذلك ـ وبإذن الله سيفعلون ـ بعد أن يكتشفوا زيف كل الشعارات وحقيقة المنادين بها . . فإنهم سيتحولون إلى قوة خارقة لا يغلبها العالم . . ويصيرون قضاء الله الغالب وقدره المحتوم وكلمته العليا . . وسيدكون حصون اليهود كما دك أسلافهم حصون الفرس والتتار والصليبيين . . هذا أولاً . .

وثانيا : كان اليهود أول من رفع شعار الدولة الديموقراطية ففي عام ١٩٢٦ م أنشأ خمسون رجلاً من كبار اليهود في فلسطين جمعية تحت اسم (بريت شالوم) ومعناها : عهد السلام . . وغاية هذه الجمعية هي : أن لا تكون فلسطين دولة يهودية ولا دولة عربية . . ولكن دولة ديموقراطية مشتركة يتمتع بها اليهود والعرب بحقوق مدنية وسياسية وإجتماعية متساوية وبدون تفرقة بين الأكثرية العربية والأقليةاليهودية . . ويكون كلا الشعبين حراً في إدارة شئونه الداخلية . . واليهود عندما رفعوا هذا الشعار كانوا أقلية أي حوالي عشرة بالمئة ١٠٪ من مجموع السكان . . ورفعوه إبان اشتداد الثورة الفلسطينية التي عرفت في إحدى مراحلها بثورة البراق وذلك ليحموا أنفسهم من لهيبها .

ثم تلقف الشيوعيون العرب ـ تلاميذ التوراة ـ هذا الشعار وطالبوا بتحقيقه في نشراتهم الصادرة من عام ١٩٤٥ حتى عام ١٩٥٥ م . .

١ ـ ففي بيان صادر عن إجتماع الجنة المركزية للحزب الشيوعي السوري اللبناني بتاريخ ١٥/١٠/١٩٤٥ تحت عنوان (الحالة السياسية العامة في سوريا ولبنان) جاء فيه :

« إن حل قضية فلسطين حلاً صحيحا هو في إلغاء الإنتداب عن فلسطين وإقامة حكم ديموقراطي في فلسطين يؤمِّن الحرية والحقوق الديموقراطية العامة للعرب واليهود على السواء . . »

٢ ـ علقت مجلة (الأزمنة الحديثة) في عددها رقم (١١) على خطاب (اندريه غروميكو) أمام الأمم المتحدة بتاريخ ١٤/٥/١٩٤٧ بقولها :

« لقد أصر المندوب السوفيتي بقوة على إيجاد حل سريع للمشكلة الفلسطينية . . إلى أن تقول المجلة :

« وبماأن فلسطين تقطنها أمتان !؟ العربية واليهودية ولهما جذورهما القوية والتاريخية في البلاد على السواء . . فلا يمكن الدفاع عن مصالحها المشروعة إلا عن طريق إنشاء دولة ديموقراطية مستقلة » .

٣ ــ وفي تموز سنة ١٩٥٠ أصدرت عصبة التحرر الوطني ـ وهي الحزب الشيوعي الفلسطيني الذي انفصل عن الحزب الشيوعي اليهودي قبل الكارثة بقليل ـ بيانا جاء فيه : (إن العصبة في أنحاء القسم العربي المحتل ؟! من قِبَل فاروق وعبدالله . . تمد يدها إلى كل ديموقراطي ووطني شريف لتكوين هذه الجبهة الموحدة للنضال من أجل تحرير الشعب الفلسطيني . . ومن أجل عودة المشردين إلى ديارهم . . ومن أجل إقامة الدولة الديموقراطية المستقلة والصديقة للشعب اليهودي . . » .

٤ ــ قامت في مصر عام ١٩٥٢ تبرعات واسعة للذين لجأوا إلى قطاع غزة إثر النكبة . . وأطلق على القطار الذي سيحمل التبرعات اسم (قطار الرحمة) . . فعلقت جريدة (راية الشعب) لسان حال الحزب الشيوعي المصري في عددها (٣١) على الحملة بقولها :

« أما قطارات الرحمة فلن تحل مشكلة اللاجئين . . والحل الوحيد لمشكلة اللاجئين هو تكوين دولة فلسطين الديموقراطية المستقلة وذلك بسحب الجيوش العربية التي تحتل أراضيها . . والكف عن إثارة الأحقاد العنصرية ضد اليهود . . » .

٥ ــ وجه ـ يوسف حلمي ـ رئيس حركة أنصار السلم في مصر . . إلى اليهود في إسرائيل . . وإلى الرئيس جمال عبدالناصر بتاريخ ١٤ تشرين الثاني عام ١٩٥٢ . . رسالة يقول فيها :

« ظلت أبواق الإستعمار وعملائه تبث في رأينا العام مشاعر الكراهية والتعصب وسوء الظن ضد إسرائيل . . وتفعل في إسرائيل مثل ذلك ضدنا . . لإبقاء حالة التوتر قائمة بحيث منعت كل تفكير في إمكان تحقيق سلام عادل . . وحل هذه المشكلة بالطرق السلمية ؟!

فالإستعمار سوف يضع كل العراقيل الممكنة في طريق أي حل سلمي . . لأن إقرار السلام بين الدول العربية وإسرائيل سوف يحطم رأس الحربة المصوبة إلى ظهورنا ؟!

ثم تقول الرسالة : (إن جعبة الإستعمار لن تخلوا من الحيل والمكائد . . فلماذا لا نقطع رأس الأفعى وننتهي . .

اما كيف نقطعها فتلك هي المسألة كما يقول هاملت . . سيقول بعضهم وهم موجودون في معسكرك وحولك . . . نلقي باسرائيل في البحر ـ ولا شك في انك معي في ان اقل ما يستحقه قائل هذا الهذر ان يموت ضربا بالنعال لا بشيء آخر . . ان اسرائيل وُجدت وستوجد وسيستحيل القاؤها في البحر . . ثم تقول الرسالة : ـ

ارأيت الى الاتحاد السوفيتي كيف يرفع شعارات السلام الى أعلى مكان في سياسته الداخلية والخارجية ؟! ارأيت كيف تنتصر سياسة السلام هذه . . وكيف تتراجع سياسة الحرب . . لماذا لا تفعلون مثل ذلك ؟ . لماذا ترفضون دعوة (بن غوريون) . . لماذا لا تخاطبون شعب اسرائيل بكل اللغات شارحين له قضية السلام الحقيقي . .

ثم يختتم رسالته بقوله : ـ

واخيرا فان الحل العملي هو ان تطلبوا عقد مؤتمر دولي !! مثل مؤتمر جنيف الذي حقق السلام في الهند الصينية على ان يضم هذا المؤتمر الدول العربية واسرائيل ودولا من مؤتمر باندونغ فضلا عن الدول الاربع الكبرى !!

فلتخرجوا ايها الناس من السياسة القوقعية التي حبسنا فيها الاستعمار واصحاب المصالح من شركائه . .

فلتطلبوا عقد مؤتمر على نطاق دولي . . لاقرار السلام مع اسرائيل فلتبدوا الاستعداد للاعتراف بحقوق الشعب الاسرائيلي في دولته التي لم يفدنا الموقف السلبي منها الا ان تبقى حكومتها سلاحا بيد الاستعمار !!» هذا هو رأي (انصار السلم) المنظمة الواجهة للحركة الشيوعية المصرية . . في الصراع الدائر بين العرب واليهود . . ان الخيانة التي تقفز من بين سطورها لا تحتاج الى تعليق . . ولعل ـ ابارغال المصري ـ وأعوانه من دعاة السلام استرشدوا بهذا البيان لتحقيق الاستسلام للعدو اليهودي . . ولم يزل موقف الشيوعيين عامة من قضية فلسطين والاغتصاب اليهودي كما هو لم يتغير . . والادلة على ذلك كثيرة . . منها . . ما قررته الاحزاب الشيوعية العربية التي اجتمعت في بيروت في شهر تموز عام ١٩٦٨ واصدرته في بيان عقب المؤتمر بعنوان « المهمات الملحة امام حركة التحرر الوطني العربية لازالة اثار العدوان الاسرائيلي الامبريالي » وظهر نصه الكامل في صفحتين من جريدة الاخبار البيروتية الصادرة بتاريخ ١٩٦٨/٨/٤ جاء فيه :- « حرب التحرير الشعبية او حركات الفداء الفلسطيني هي اتجاه عاطفي مغامر تدعو اليه عناصر من البرجوازية الصغيرة ضاع افق الرؤيا الواضحة للمستقبل امام اعينها ـ نظرا لعدم تسلحها بالنظرية العلمية للتطور الاجتماعي ؟! الخ » ان الشيوعيين العرب عبارة عن اجراء يقومون بتنفيذ السياسة الأجنبية التي يوحيها اليهم سادتهم اليهود . . ولا يهمهم بعد ذلك مصير الامة بقليل أو كثير . .

وثالثا :

انه من غير الممكن ان نأتلف مع اليهود الغاصبين اجتماعيا ونعيش معهم في دولة واحدة . . لانهم في كل مكان وزمان يعملون على استعباد وارهاق واستنزاف دماء واموال الجماعات التي تعيش بينها . . كلما رأوا الى ذلك سبيلا . . فكل

الاشياء عندهم مباحة في سبيل مصلحة بني اسرائيل . . والهدف الذي يرمي اليه كل يهودي على وجه الارض انما هو هدف خاص غير متصل بسواه من اهداف الناس دينيا ووطنيا واجتماعيا . . قال ناحوم غولدمان : رئيس الوكالة اليهودية سابقا ـ عام ١٩٥٦ ما نصه : ـ « لا يهمنا نحن اليهود ان نكون في جانب واحد من التيارات السياسية العالمية ما دمنا نعيش في انحاء العالم كيهود فقط لا يهمنا ان نكون رأسماليين او شيوعيين لاننا لا نفكر الا في اننا يهود . . والقضاء والقدر قد حتما علينا ان نعيش في الاربع جهات من هذا العالم . . فاذا دعت روسيا لدعوتها ضد امريكا كان اليهود اسبق الناس الى تعضيد الشيوعية . . واذا دعت امريكا لدعوتها ضد روسيا كان يهود امريكا اسبق من الامريكيين الى التكتل ضد الشيوعية وهكذا يبقى مركزنا كيهود سليما الى الأبد . . » .

وقد سبق لكاتبين فرنسيين هما (جان وجيروم تارو) ان وصفا اليهود في كتاب لهما خير وصف . . وعرَّبه الخوري (انطون يمين) تحت عنوان (اذا ملك اسرائيل !) جاء فيه : ـ (ان اليهودي في الواقع يظل دائما وابدا يهوديا حتى لو انه احب الشعوب التي يعيش بينها او اعتقد انه احبها او انه احبها بالفعل فان دمه يبقى دائما وابدا يهوديا يسيطر على كافة اعماله . . » وقد رأينا في اليهود قديما حول المدينة المنورة اتجاها دائما نحو العزلة . . والبعد عن الاندماج في المجتمع . . وهكذا كان اليهود في الامبراطورية الرومانية القديمة . . وفي انكلترا واوروبا الغربية وروسيا القيصرية . . وفي كل مكان حلوا فيه اقاموا حارات الجيتو الخاصة بهم . . ولعمري اذا كانت هذه صفات قوم وعاداتهم فكيف يأتلفون مع الآخرين . . وكيف يتجهون واياهم الى غاية واحدة . . بل كيف يصلون الى نقطة التفاهم والتعاون وتبادل النفع والمصلحة بين الجميع . . اذا كانوا ينظرون الى من سواهم نظرة الطاهر النجس . . ونظرة ابن السماء الى ابن الارض . . يقول تلمودهم الذي يقدسونه اكثر من التوراة . . :ـ

أ ــ يباح لاسرائيل بل يفرض عليه قتل من امكنه من الجوييم ـ اي غير اليهود ـ واغتصاب مالهم وسرقتهم .

ب ــ ان اليهود احب الى الله من الملائكة . . وهم من عنصر الله كالولد من عنصر ابيه ـ ومن يصفع اليهودي كمن يصفع الله . .

جـ ــ الجوييم كالكلاب والخنازير . . وبيوتهم كحظائر البهائم في نجاستهـا . . ويحرم على اليهودي ان يعطف عليهم وكل شر يفعله معهم هـو قربى الى الله . .

د ــ يجب على اليهود السعي الدائم لغش المسيحيين . . ولكل ذلك قال تعالى في كتابه العزيز الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه : ﴿ **لتجدن أشدَّ الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا . . الآية** ﴾ واذا كان هذا شأنهم معنا دينيا واجتماعيا . . فكيف يكون ذلك سياسيا . . والسياسة بنت الدين والاجتماع . . انه لمن الشذوذ والجنون المطبق ان نقبل العيش الى جانب شعب غـريب الفهم للدين . . غـريب الاخـلاق والاطـوار والمبـاديء والأفكار . . وهل يرضى عاقل ان يعيش مع الاوبئة والجراثيم الفتاكة . . اذن فما الحل . . ؟

ان الحل الوحيد لهذه المشكلة هو ان يعود المغتصب من حيث جاء وان يعود الذي وقعت ضده عملية الاغتصاب والتشريد الى حيث كان هذا هو الحل المنطقي والانساني . . واليهود لم يأتوا لبلادنا من القمر . . او الفضاء الكوني . . واذا لم نكن الآن قادرين على تنفيذ الحلول التي تتفق ومصلحة العرب المسلمين . . فليس معنى ذلك ان نتهافت على الحلول المشبوهة والمطروحة من كل حدب وصوب . . فالسلام بيننا دين اليهود يستحيل وجوده . . كالغول والغناء والخل الوفي . .

واسرائيل لا تريد السلام حين يكون السلام مقابل التنـازل عن بعض مكاسبها

الاقليمية انها تريد سلاما من دون قيد او شرط . . او هي تريد السلام الذي يتيح لها ان تتقدم وتتوسع وتهيمن دون اللجوء الى القوة . . فالسلام الاسرائيلي . . اعتداء سلمي . . ولو نظرنا الى مشروعات اليهود السلمية التي بدأت تتحقق في عهد (بيجن) نجد انها هي بعينها التي طرحها قادة اليهود منذ نشوء الصراع في المنطقة . . فالسياسة اليهودية الاستيطانية مرتبطة بتخطيط يهودي عبَّر عنه (هرتزل) بعد مقابلته مستشار امبراطور المانيا بقوله : ـ « وسألني ايضا عن الأرض نريد . . وما اذا كانت تمتد شمالا حتى بيروت او ابعد . . وكان جوابي : سنطلب ما نحتاجه ومع ازدياد المهاجرين !! تزداد المساحة المطلوبة » . وعبر عنه ايضا في مقام آخر بقوله : ـ « ان المساحة التي نريد . . . تمتذ من نهر مصر (اي نهر العريش) حتى الفرات . . ولابد من فترة انتقالية لتثبيت مؤسساتنا !!» ثم قال : (اني اعلم بان الله قد وعد ابناء اسرائيل . . ولكن لا اعرف الحدود التي رسمها . . ربما ضمت شرق الاردن . . فاذا حافظ الله على وعده لشعبه وفي الوقت الذي يختاره . . علينا انقاذ ما يمكن انقاذه من بقايا اسرائيل) وهو نفس ما عبر عنه (.بيجن) بقوله : ـ « ان اسرائيل الكبرى لابد ان تضم كل المنطقة التي كان يسيطر عليها الملك داود والملك سليمان . . » . . وعبر عنه ايضا موسى ديان في آب سنة ١٩٦٧ بقوله : ـ

« اذا كنا نمتلك الكتاب المقدس ، واذا كنا نعتبر انفسنا شعب الكتاب المقدس فان علينا بالمثل أن نمتلك أرض الكتاب المقدس أرض الأباء . . أرض اورشليم والخليل واريحا . . وغيرها . . » فالسياسة اليهودية الاستيطانية مرتكزة على مبدأ ثابت هو مبدأ ـ الوطن القومي اليهودي ـ . منذ أن كان الوطن القومي مجرد حُلم . . ففي العام (١٩١٩) وزع الوفد اليهودي الى مؤتمر الصلح في باريس خريطة لهذا الوطن القومي . . وهي تقريبا نفس الحدود التي وضعها وايزمن للدولة اليهودية . . وتضم هذه الدولة المقترحة : ـ

١ ـ كل فلسطين ، ٢ ـ لبنان الجنوبي . . منابع نهر الاردن وجبل الشيخ والقسم الجنوبي من نهر الليطاني . ٣ ـ مرتفعات الجولان ونهر اليرموك ومنابع مياه الحمة المعدنية . ٤ ـ وادي الاردن . . بكامله . . والبحر الميت والمرتفعات الغربية لمدينة عمان . . والى خط يتجه جنوبا بمحاذاة الخط الحديدي الحجازي الى خليج العقبة . ٥ ـ الحدود الغربية للدولة : البحر المتوسط . ٦ ـ الحدود الجنوبية (للدولة) من وادي العريش (نهر مصر) شمالا حتى خليج العقبة جنوبا . . وما بينهما يتفق عليه مع الحكومة المصرية على حد تعبير المذكرة اليهودية . . التي وزعت في مؤتمر الصلح عام ١٩١٩م . والمباحثات جارية حاليا (عام ١٩٨٥) في فندق ميناهاوس في القاهرة للتباحث بخصوص (مابينهما) التي تشمل (طابا) وغيرها . . وفي عام ١٩٠٢م كتب (بن غوريون) في تقديمه للكتاب السنوي للحكومة اليهودي ما نصه : (كل دولة تتكون من ارض وشعب واسرائيل لا تشكل شواذ لهذه القاعدة . . ولكنها دولة ليست مطابقة لارضها . .).

وبعد حرب عام ١٩٦٧ اعلن كل زعماء اليهود ان الجولان وغرب الاردن اجزاء من الوطن ردت اليهم . . واعلن (اسحق‌رابين) انذاك . . في طوائف الشباب قائلا : ـ (ما كنا لنحتل الجولان لننسحب منها . .) وعندما سألت صحيفة معاريف الصادرة بتاريخ ١٩٧١/٤/٢٨م بن غوريون بقولها : لماذا لم يشمل اعلان الاستقلال مسألة حدود الدولة . . اجاب بقوله : (كنت في ذلك الوقت ـ اي عام ١٩٤٨ ـ في تل ابيب ولم استطع الاتصال بالزملاء الأخرين ثم ادركت بان الدولة ستقوم بقوة جيشنا . . لا بقوة الامم المتحدة وهذا ما ساعد في قضية الحدود . . . وتساءل رجلا القانون : (بنحاس روزن وشطريت) كيف تعلن الدولة دون ان تعين حدودها . . فأجبت : لسنا مجبرين . . لقد قامت الولايات المتحدة الامريكية عندما كانت تضم ١٥ ولاية فقط . . ولم تعين حدودها عند اعلان استقلالها . . الخ) . ولو رجعنا الى اقوال (جابو تنسكي ـ زعيم الارهاب اليهودي) لعرفنا حقيقة السلام الذي ينشده ويسعى اليه تلميذه (مناحم

بيغن . . وغيره من زعماء اليهود . . اذ يقول جابو تنسكي : ـ(العرب عبيدنا . . وليسوا من مستوانا . . لنا . . لنا . . ستكونين لنا .
يقا قمة جبل الشيخ . . وضفتي الاردن . . الأولى التي هي لنا . . والأخرى التي هي لنا ايضا) .

ومنذ عشرات السنين كان العرب والمسلمون ينظرون باستنكار وتعجب حين يقال لهم : ان اليهود يريدون اقامة دولة تمتد شرقا وشمالا وجنوبا مشتملة على المساحات الوارد ذكرها في (الاصحاح ١٥/٨) من توراتهم الملفقة . . والذي يقول : ـ (لنسلك اعطي هذه الارض . . من نهر مصر (بجوار العريش) الى النهر الكبير(نهر الفرات . .)ولكن حين قام الكيان اليهودي على أرض فلسطين عام ١٩٤٨ زال الكثير من العجب وان كان الاحساس بهول الخطر لم يعرف طريقه الى اذهان العرب ومداركهم . . وحين استولى اليهود على سيناء عام ١٩٥٦ ثم انسحبوا . . ظن الكثيرون من ابناء العرب والاسلام ان قضية التوسع الاسرائيلي خرافة . . فلما وقعت الواقعة عام ١٩٦٧ . . وامتدت الاطماع اليهودية لتشمل الجولان وغرب الاردن وسيناء . . وبدأت نظريات التوسع اليهودي تأخذ مجالها تطبيقا وتنفيذا بدأ فريق من العرب والمسلمين يدركون هول ما جرى وسيجري من كوارث واحداث . . ويربطون بين أقوال هرتزل حين كانت وعودا وأماني وبين اقوال بين غوريون وديان ومناهم بيغن . . حين صارت الوعود والاماني حقائق وواقع تكتوي بناره أجساد العرب والمسلمين وأفئدتهم . . فالتوسع الاسرائيلي ماض في طريقه وفق تخطيط دقيق من هرتزل الى بيغن . . والى ما بعد بيغن . . وهنا لابد ان نصحح ذكرة خاطئة تملأ الاذهان . . وهي ان اسرائيل تريد اقامة دولة من النيل الى الفرات . . فالوارد ذكره في الاصحاح السالف الذكر . . (نهر مصر) وليس المقصود به (نهر الينل) الذي ينبع من بحيرة فكتوريا وادغال افريقيا . . بل المقصود بكلمة (نهر مصر) الوارد في الاصحاح (١٥/٨) الذي اوردناه انفا هو (نهر العريش لا نهر النيل كما شاع خطأ بين المثقفين وعامة الناس) . . (انظر

قاموس الكتاب المقدس لجورج بوست المطبوع في بيروت سنة ١٨٩٤ جـ ٢ ص ١٧١) . وانـظر ايضا حـدود الدولـة اليهوديـة التي وصفها وايـزمن اذ جاء في نهايتها . . (وتمتد الحدود الغربية ـ للدولة اليهودية ـ من خليج العقبة ووادي عربة حتى وادي العريش . .) وانظر ايضا ما جاء في نهاية المذكرة التي قدمها زعماء الوفد اليهودي الى مؤتمر الصلح عام ١٩١٩ اذ جاء فيها : ـ

« وما بين وادي العريش الى خليج العقبة يُتَّفق عليه مع الحكومة المصرية » فاليهود لم ينسحبوا أبعد من العريش لأنهم لايريدون أكثر مما أخذوه . . وتجـري المباحثات الان في مصر ـ كما اسلفنا ـ بين الحكومة المصرية واليهود للاتفاق على ما بين وادي العريش وخليج العقبة . . كطابا . . وغيرها . . فاسرائيل عندما عقدت مفاوضات مباشرة مع الماسـوني السادات . . انمـا كانت تتبـاحث بشأن الحـدود الجنوبية للدولة اليهودية . . فاليهود لم يخرجوا ابدا عن سياستهم اليهودية التي تسير وفق تخـطيط دقيق ومتقن رسمـه لهم حكمـاؤهم . . وهم لم يتخلوا عن الحـدود الاستراتيجية للدولة اليهودية ولا عن مطامعهم في المنطقة ولا عن حلمهم باقامة الوطن القومي في ارض الميعاد . . وهم بعد ان امنوا الحدود الجنوبية انتقلوا لتأمين الحـدود الشماليـة . . فانسحبـوا من المناطق التي لا يـردونها . . وكلفـوا بعض اللبنانيين من بقايا القرامطة والنصارى والنصيرين ليساعدوهم في هذا الشأن . . وهذا ما يقومون به الان من افتعال المجازر في مخيمات الفلسطينين في لبنان . . لتـهجيرهم من الجنوب اللبناني كي تتأمن الحدود الشمالية للدولة اليهودية . . او لخلق حاجز كثيف من العداء فيما بين الفلسطينين واللبنانيين الجنوبيـين حتى لا يعودوا للجنوب مرة اخرى . . فشعار السلام الذي يرفعه اليهود ما هو الا وسيلة دعائية لاخفاء النوايا وتحقق الاطماع . . فالتصور اليهودي للسلام على حد تعبير (ابا ايبان) ـ وزير خارجية العدو اليهودي الاسبق ـ هو (اتاحة الفرصة لاسرائيل كي تقوم بدورها الوظيفي في المنطقة . . ودعامة هذا السلام هو : الحدود الآمنة والابواب المفتوحة والجسور الممتدة . .) اما الحدود الآمنة : فـلا اظن انها تعني

رجوع اليهود عن شبر واحد من الأرض التي احتلوهـا عام ١٩٦٧ عـلى الحدود الشمالية والشرقية للدولـة اليهوديـة . . خاصـة وان (ديان) كـان يقول لـزوار اسـرائيـل في الستينـات : (ان مـدفعيـة الاردن عى بعـد خـطوات من مكـان اجتماعكم . . ولابد لاسرائيل من عمق استراتيجي) فالآراء اليهودية الرسمية والقيادية والحزبية والشعبية واليمينية واليسارية تلتقي على تفسير الحدود الآمنة : بـ مساحات جديدة تكفل العمق الاستراتيجي لاسرائيل والسلام العادل والدائم : بمعنى : فتـح الحدود عـلى مصراعيهـا لتعاون حضـاري وسيـاسي وثقـافي يحقق لاسرائيل التغيير الاجتماعي في المنطقة كما ترجوه . . ويرجوه اعداء الاسلام في الشرق والغرب . . ولتحقيق كل ما تحلم به من توسعات واطماع . . فاسرائيل انسحبت للحدود بالتي تريدها من النـاحية الجنـوبية وكـذلك فعلت في النـاحية الشمالية . . ولم تنسحب لان مفاوضات السلام فرضت عليها ذلك . . بل لانها لا تريد اكثر ما اخذت شبرا واحدا في هذه المرحلة .

ثم ان السلام والصلح مع العدو اليهودي خطير على الامة العربية المسلمة من عدة نواحي : ـ

فمن الناحية السياسية : سيكون هذا الصلح اعتـرافا رسميـا من العرب بشرعية الدولة اليهودية الغاصبة . . التي قامت في فلسطين العربية . . وبـذلك تطمس نهائيا قضية فلسطين وتنتهي حالة الحرب ، ويقضى على العـداء العربي اليهودي وتتوطد اركان الكيان الاسرائيلي بموافقة العرب انفسهم .

ومن الناحية الاقتصادية : سيؤدي الصلح الى افسـاح المجال امـام الاقتصاد اليهودي لينمو ويزدهر على حساب الاقتصاد العربي . . ويتحقق بـذلك هـدف اليهود والشركات الاحتكارية الاستعمارية بجعل اسرائيل مصنعا ضخما في وسط زراعي متخلف اي تحويل الوطن العربي الى سوق استهلاكية واسعة لـلاقتصاد

اليهودي والاستعماري . . يتحكم اليهـود عن طريقـة بمقدرات الـوطن العربي تدريجيا . .

ومن الناحية العسكرية : سيؤدي الصلح الى حالة من الاستقرار السياسي والازدهار الاقتصادي للكيان اليهودي . . . يمكنه من الانصراف الى بناء الكيان داخليـا . . وتـدعيم اقتصـاده وتقـويـة جيـوشـه وتنفيـذ بـرامـج الهجـرة والتي سيساعد الاستقرار السياسي الى نجاحها . . مما سيؤدي الى تحويل اسرائيل الى معسكر حربي ينتـظر الفرصـة الملائمـة للانقضـاض مرة ثـانية وتـوسيع الحـدود باغتصاب أراضي عـربية جـديدة . . ويحقق حلم اليهـود . .وكلنا سمـع الأنباء القائلة بان اليهود قبل انسحابهم من اجزاء كبيرة من الجنوب اللبناني قاموا بعمل خرائط عسكرية للجنوب اللبناني بالاضافة الى تصوير جميع المناطق الاستراتيجية والطرق ليسهل عليهم دخول المنطقة في المستقبل . .

ثم . . ان الماسونيين هم اول من نادى بالسلام مع اليهود ففي ٢٧ نيسان سنة ١٩٢١ اصدر الماسونيون المصريـون بيانـا نشرتـه مجلة (العالم الاسـرائيلي) الصادرة في بيروت في عددها رقم (٣٣) ونشره أيضا (ميشيل سركيس) في صفحة ٣٠ من كتابه (النهضة الاسرائيلية وتاريخها الخالد) ونشرته مجلة شئون فلسطينية في عددها ٧٤/ ٧٥ وكان البيان تحت عنوان : ـ

(نداء الى اهل فلسطين من الحركة الماسونية في مصر . .) ويقول النداء : ـ (يا اهل فلسطين تذكروا ان اليهود اخوتكم وابناء عمومتكم قد ركبوا متن الغربة فافلحوا ونجحوا ثم هم اليوم يطمحون للرجـوع اليكم لفائـدة وعظمـة الوطن المشترك العام بما احرزوه من حال . . وما اكتسبوه من خبرة وعرفان . . ان العربي والعبري صنوان من شجرة ابراهيم . . ابوهما اسماعيل واسحق . . فمتى وضع احدهما يده في يد الآخر انتفعا جميعا بما لديهما من الوسائل المختلفة وكان في تعاونهما كمال البركة باذن الله . . ويضيف الماسونيون المصريون قائلين : ـ

(اسمعـوا وعُوا هـذا الصوت الـذي يناشـدكم من مصـر . . شقيقتكم الكبرى . . انها تدعوكم الى السلام والوئام لمصلحتكم ومصلحة الشرق . . وهي فوق كل مصلحة . . اسمعوا هذا الصوت الـذي يدعـوكم الى الحكمة وسبيـل الرشاد . . هذا الصوت المنبعث عن ارض تفاخر وتباهي بصلاح الدين ؟! ذلك الملك الجليل الذي اعجب به العالم طرا . . بما كان له من تسامح . . لا زال كوكبه الوضاح في جبين الشرق والغرب . . . اهـ) وعلق الصحفي اليهودي اللبنـاني سليم الياهو على هذا البيان بقوله : ـ (نحن ابناء الأمة الاسرائيلية نحب ونرغب من كل قلوبنا ان نعيش مع كل ابناء فلسطين من مسلمين ومسيحيين وغيـرهم بسلام . ومحبة واخاء . . كل في عبادته وديانته لا يضر احد اخـاه . . نحب ان نعيش كابناء عائلة واحدة في بيت واحد . . نعمل جميعا لاحيائه وانهاضه بروح الاخاء وروح الاخلاق وروح المحبة . . فلتحيا الامة العربيـة . . ولتحيا الامـة الاسرائيلية . . ولتحيا بلادنا الفلسطينية . .) وهذا بالطبع عندما كان اقامة وطن قومي لليهود في فلسطين حلما يراود اذهانهم . . ولكنهم عندما تمكنوا من ذلك عام ١٩٤٨ حدث ما تعرفون من احداث في قرى قبية والسموع ودير ياسـين وصبرا وشاتيلا ولذلك كان الماسوني السادات ـ وقيل اصله من يهود الفلاشا ـ أول من قفز فوق ارادة الامة العربية الاسلامية وعقد صلحا مـع اليهود وقـد نشر (حنـا ابي راشد) في كتابه دائرة المعارف الماسونية في الصفحتين ٣١٧ ـ ٣١٨ صورة لقرار المجلس السامي السوري الماسوني الذي اتخـذ يوم تحقيق الوحدة مع مصر . . في ١٩٥٨/٢/٢١ وفيما يلي نصر القرار : ـ

(اجتمع المجلس السامي ال (٣٣) (اي للدرجة ٣٣) السوري العربي ! يوم ١٩٥٨/٢/٢١ وقرر اعتماد الاخوان الاعاظم وتثبيتهم في الوظائف الشرفية للمحفل الاكبر السوري العربي مع حفظ الالقاب وهي كما يلي : ـ

أ ـ الاخ جمـال عبدالنـاصر . . وشكـري القوتـلي رئيسان او قـطبان اعـظمـان شرفيان . .

ب ــ الاخوان : عبداللطيف البغدادي ، المشير عبدالحكيم عامر ، صبري العسلي ، اكرم الحوراني ، عبدالحميد السراج ، أنور السادات ، صلاح سالم ، سامي الصلح ، بشير الاعور ، حنا ابي راشد ، محمد احمد ابو شهبة ، طه مخلوف ، البكباشي اركان حرب نجم الدين شاهين ، فوزي القاوقجي (قائد جيش الانقاذ عام ٤٨ ؟!!) اساتذة عظام شرفيون .

جـ ــ الاخوان : خليل كلاس ، فاخر كيالي ، محمد جاد ، علي صبري ، فتح الله احمد متولي ، محمد زكي يوسف ، محمود فوزي الامير الاي محمد طاهر ، بهيج الكلاس ، سليم اليازجي ، المقدم اكرم طبارة ، الامير نزار الجزائري ، نوابا عظام شرفيون دمشق ٢١ شباط ١٩٥٨ امين السر العام فهمي صدقي المعري (٣٣)) .

وهذا البيان غني عن التعليق . ولعل صورة اذناب اليهود من دعاة الاستسلام قد تكشفت لك اخي القاريء . . ومع ذلك فاني لا اتهم قادة المنظمة الفلسطينية . . لأن الطريق الذي يسيرون فيه حاليا مفروض عليهم من غير شك . . وسيتجاوزونه باذن الله . . وهم قادرون على ذلك . . وسيعودون إلى أصالتهم العربية الاسلامية هذا ما نأمله منهم وفيهم . . لأننا نعرف الظروف التي يمروا بها الآن . . ولولا انهم كبار جدا . . لسقطوا تحت الاقدام . . ويكفيهم فخراً صمودهم اما العالم بل امام (دار الندوة) العالمية . . في بيروت . .

وبعد : لقد مرت أمتنا العربية المسلمة بحالات مشابهة للحالة التي تمر بها امتنا الآن . فعرفت كيف تجتث الداء وتبقى سليمة معافاة . .

فعندما اجتاح التتار العالم الاسلامي . . ووضعوا في المسلمين السيف الى ان تمكّن الوهن في قلوبهم . . حتى اصبحوا لا يصدقون بهزيمة التتار . . قال ابن الاثير في تاريخه : ـ

(أنه سمع من بعض الأكابر، !!أنه قال: من حدَّثك أن التتار ينهزمون فلا تصدقه . . إلى أن قال ابن الأثير : ـ ووقع رعبهم في قلوب الناس حتى كان احدهم (أي التتار) إذا لقي جماعة قتلهم واحداً واحداً وهم دهشون . . ودخل واحد منهم درباً فيه مائة رجل . . فمازال يقتلهم واحداً تلو الأخر حتى افناهم . . ولم يمدد أحد يده إليه بسوء . .

ثم قال ابن الأثير : لقد بقيت عدة سنين معرضا عن ذكر هـذه الحوادث استعظاما لها . . كارها لذكرها . . فانا اقدم اليه رجلا وأُؤخر اخـرى . . فمن الذي يسهل عليه ان يكتب نعي الاسلام والمسلمين . . ومن الذي يهون عليه ذكر ذلك . . فيا ليت امي لم تلدني . . ويا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا) ومع ذلك لم يتنبه المسلون ولم يفيقوا من غفلتهم ولم يغيروا ما بأنفسهم حتى يغيِّر الله ما بهم . . فحق عليهم قول ربهم : ـ ﴿ **ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون** ﴾ . . واستمروا على ما هم فيه من غفلة ولهو وظلم . . قـال ابن الأثـير: (فـما نـرى في ملوك الاسـلام من لـه رغبـة في الجهـاد؟!!ولا في نصـرة الدين . . (وكأنه يقصد ملوك المسلمين هذه الايام !) بل كلٌ منهم مقبل على لهوه ولعبه وظلم رعيته . . وهذا اخوف عندي من العدو . . قال تعالى : ـ ﴿ **واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة . .** ﴾ الآية ـ ولكن المسلمين عندما افاقوا من سكـرتهم . . واصلحوا شـأنهم واعدوا للنصر عـدته . . وصمـدوا في وجه العدو . . وقاتلوه باخلاص هزموا التتار . . هزموا الذين لم يكـونوا ـ في رأيهم ـ يعرفون الهزيمة . . هزمهم المسلمون في عدة مواقع . . كانت خاتمتها في موقعة ـ عين جالوت ـ على مقربة من ـ حـطين ـ التي هزم فيهـا الصليبيون . . وكـلاهما تقعان على مقربة من مدينة بيسان شمالي فلسطين المحتلة . .

ووصف الحافظ السيوطي موقعة عين جالوت في كتابه (تاريـخ الخلفاء) بقوله : فهُزِم التتار شر هزيمة . . وانتصر المسلمون ولله الحمد . . وقُتل من التتار

مقتلة عظيمة . . وولوا الأدبار وطمع الناس فيهم يخطفونهم وينهبونهم . . الخ) .

ثم جاء الصليبيون من بعدهم على حين غفلة من المسلمين . . ولكن سرعان ما هَبَّ المسلمون من رقادهم ووحدوا صفوفهم فطهروا البلاد الاسلامية من رجسهم وشرهم . . وألقوا بآخر جندي صليبي في البحر من على أسوار عكا . .

وبكل يقين وتأكيد . . لن يكون مصير اليهود بأفضل من مصير اسلافهم . . التتار والصليبيين .

وصدق الله العظيم اذ يقول : ـ **﴿ قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين . . هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين . . ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الأعلون إن كنتم مؤمنين . ان يمسسكم قرح فقد مسَّ القوم قرح مثله . . وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين . . وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين . أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ﴾** . آل عمران (١٣٧ ـ ١٤٢) .

جهود المستغربين في ترسيخ العلمانية

شهد النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي سيطرة الاستعمار الغربي على جميع العالم الاسلامي تقريبا . . وقد ارادت قوى الاستعمار حين استتب لها الأمر . . ان تعزز انتصاراتها العسكرية والسياسية بانتصار ثقافي وايديولوجي يضمن لها البقاء في العالم العربي والاسلامي حتى بعد رحيلها العسكري . . وذلك بالترويج للعلمانية في المجتمع العربي الاسلامي ليقوم بتنظيم علاقاته الاجتماعية والانسانية وفقا لمفاهيمها وليس حسب مفاهيم الاسلام .
واستعملوا في سبيل ذلك وسائل ترغيب وخداع كثيرة . . لتكوين قناعات تامة لدى جماهير المسلمين بصلاحية الدعوة العلمانية وأحقيتها ومن ضمن هذه الوسائل : -

١ ـ ترجمة المصطلح الذي يدل على (لادينية) في اللغات الاوروبية الى (علمانية) ليكون انطباعا لدى الانسان العربي المسلم البسيط بأن هذه الدعوة تتصل بالعلم وتنبع عنه . . ولوكان المقصود به اقامة الدولة على اساس علمي او ادخال منجزات العلم الطبيعي وجعلها في متناول الانسان في المجتمع . . وتيسير حياته وجعلها اكثر بهجة وراحة . . فمن السخف بمكان في هذه الحالة تسمية دولة ما بأنها علمانية دون غيرها . . وتسمية مجتمع بانه علماني دون غيره . . فان اشد الدول والمجتمعات الدينية تزمتا ومحافظة لا تمانع في تسيير حياتها المادية بما يوفره العلم من منجزات في شتى الحقول والمجالات واذن فلا معنى لتسمية دولة ما بأنها علمانية لمجرد انها تستخدم منجزات العلم في حياة مجتمعها . . واذا لم يكن الامر كذلك فهل يعني كون الدولة علمانية ان نظامها الاداري ونظامها الاقتصادي يقومان على اسس علمية . . ؟

فالدولة الفلانية لا تدير شئونها وشئون اقتصادها على نحو عشوائي غير مخطط وغير مدروس وانما تتبع في ذلك اصول واساليب العلوم الادارية واصول واساليب العلوم الاقتصادية فتبني ادارتها واقتصادها على اساس من ذلك . .

فمن الوضوح بمكان ان اشد الدول والمؤسسات الدينية لا تمانع لاسباب دينية في تنظيم ادارتها وشئونها المالية والاقتصادية على اسس علمية تضمن لها اكبر قدر من الانتاجية . . بل تسعى الى ذلك وتكلف الخبراء لتنظيم شئونها على افضل الاسس والاساليب التي توفر لها زيادة في الانتاج مع اتقان في العمل . . ومن السُّخف كذلك وصف دولة ما أو مؤسسة ما بالعلمانية لمجرد أنها تتبع أساليب علمية في الادارة وغيرها من شئون التنظيم .

ان العلم الطبيعي وتنظيم العمل واساليب الادارة امور مشاعة في كل المجتمعات وكل الدول . . ولا يوجد دين كما لا توجد مؤسسة دينية ـ في هذا العصر على الأقل ـ يقفان في وجه العلم الطبيعي او يرفض بناء ادارة ومؤسسات ذات انتاجية عالية لاسباب دينية محضة . . فالعلوم الادارية والطبيعية محايدة من هذه الجهة . . ليست مع الدين وليست ضده وهذا من الامور الواضحة للعيان فيما امامنا من دول ومؤسسات ليست علمانية بالتأكيد اذن فالعلمانية لا تعني هذا ولا ذاك . . وانما تعني شيئا آخر غيرهما . . وهو عبارة عن امرين متكاملين . . ولا تكون الدولة علمانية بدونهما . . وهما :

الأول : مصدر الشرعية في السلطة السياسية .

والثاني : التشريع الدستوري والقانوني في الدولة .

وبالنسبة للأمر الأول : تعني العلمانية أن الشرعية التي تخول السلطة السياسية أن تحكم المجتمع وتسيره وفقا لمفاهيمها وخططها ليست مستمدة من الدين . . فالدين ليس مصدرا للشرعية التي تتمتع بالسلطة السياسية في الدولة

العلمانية . ولا تتوقف شرعية السلطة السياسية على أن تنال إعتراف بها من السلطة الدينية .

وقد يكون هذا منسجا مع العقيدة المسيحية . . لأن تدخل الكنيسة في شئون الدنيا والحكم والسلطة لم يكن فكرا مسيحيا . . وإنما هو من تصرفات الكنسيين الذين اقحموا كنيستهم في هذا الميدان .. لأن العقيدة المسيحية في صفائها الأول تبتعد عن السياسة وتترك ما لقيصر لقيصر . . وما لله . . بينها الاسلام يتصل بشئون الدنيا وينظم مبادئه علاقاتها . . ففي الدعوة للعلمانية نوع من العودة لجوهر المسيحية في ايمان المسيحي ولكن في العلمانية نوع من الافقاد لبعض جوهر الاسلام في يقين المسلم . . حسب قول الأستاذ طارق البشري . .

فالدعوة للعلمانية كذلك منحازة لرؤية الأقلية الدينيـة على حسـاب رؤية الأغلبية ثم أن التاريخ الأوروبي عرف نوعا من السلطان الدنيوي للكنيسة ورجال الدين . . لدرجة أن البابا (غريغوريوس السابع) أعلن أن الكنيسة هي صاحبة السيادة في العالم كله . . وأنها تستمد نفوذها من الله مباشرة ومن غير حجاب . . وأنها معصومة لا تخطيء ولا تضل أبدا . . وأن الامبراطور ليس كما يدعي أنه ظل الله في الأرض . لأنه إنما يعتمد على القوة الغاشمة . بل قد أراد هنري الرابع - أن يستقل عن الكرسي الرسولي وأن يعـيِّن الاساقفة بنفسه . . فعلم بأمره البابا (غريغوريوس) فغضب عليه . . وأصر قرارا في سنـة ١٠٧٥ يحظر عـلى الملك هنري الرابع تعيين الأساقفة فرد عليه الملك المذكور بقرار آخر مضاد يقضي باسقاط البـابا عن كـرسيه في رومـا . . ولكن البابـا أجابـه بقرار مقـابل يقضي بـالقاء (الحرمان،) على الملك ومنعه من الحكم . . وأحـل جميع المسيحيـين من الولاء المعقود له ويدعوهم أن لا يعترفوا به كملك . . فسرعـان ما تقيـد الناس بـأمر البابا . . فرأى الملك نفسه وحيدا منبوذا . . فاضطر في ٢٧ / ١ / ١٠٧٧م أن يذهب إلى قصر كانوسا حيث كان يقيم البابا غريغوريوس السابع . . بعد أن ارتدى ثوبا

من الشعر وانتظر على باب القصر راكعاعلى الثلج حافي القدمين ـ تماما كما طلب منه البابا ـ ريثما يأذن له البابا بالدخول . . ليطلب منه غفران اساءته . . وأخيرا أمر البابا بادخاله . . وبعد أن طلب منه العفو رفع (الحرمان) عنه . . واعترف به كملك . . فعاد وتولى عرشه ثانية . .

بل أصبح لرجال الدين المسيحي محاكم خاصة . . ولهم أملاك عقارية خاصة وسجون رهيبة . . ويفرضون الضرائب على الشعب . . وأصبحت الكنيسة دولة دينية داخل دولة مدنية . . وأخذت تمنح (صكوك الغفران) لمن ترضى عنه . . وتقطع مساحات شاسعة في الجنة . . وشنت حروبا دينيا على المسيحيين المخالفين لعقيدتها حتى أنها في عام ١٥٧١م تم بفضل الكنيسة وتسامحها ذبح (١٠٠,٠٠٠) مائة ألف مسيحي بروتستنتي في ليلة واحدة . . وراحت تنشىء محاكم التفتيش الطاغية . . التي كان من أخف أحكامها الحرق والسجن المؤبد والنفي والتعذيب حتى بلغت ضحايا هذه المحاكم الدينية منذ القرن الثالث عشر حتى القرن الثامن عشر ما يزيد على تسعة ملايين نسمة . .

ولهذا جاءت العلمانية لتقاوم هذا السلطان . . وهو سلطان كان يمثل نتوءا شاذا في العقيدة المسيحية . . بينما المجتمع الاسلامي لم يعرف في تاريخه سلطانا لأية مؤسسة دينية يماثل سلطة البابوية الكاثوليكية في القرون الوسطى . . فالأزهر مثلا . . له مكانة في نفوس المسلمين . . وهو اكبر وأقدم مؤسسة دينية في العالم الاسلامي . . ومع ذلك لم تكن له سلطة ما على الحكومات المتعاقبة في مصر . . منذ عهود طويلة غابرة وحتى العصر الحاضر . . ولو رجعنا إلى الثبت الذي نشره (مركز وثائق تاريخ مصر الحديث) عن النظارات والوزارات المصرية من أول هيئة نظارة عام ١٨٧٨م إلى قيام الجمهورية المصرية عام ١٩٥٢ يلاحظ أن أزهريا واحدا أو ذا تعليم ديني لم يتول أية وزارة لأية مدة طوال ثلاثة أرباع القرن . . اللهم إلا أربعة أزهريين . . وهم : الشيخان مصطفى عبد الرزاق وعلي عبد الرزاق والشيخ محمد فرج السنهوري والشيخ أحمد حسن الباقوري . .

وذلك من جملة عدد الوزراء الذين يبلغ عـددهم في هذه الفتـرة (٢٩٨) وزيرا . .

وهؤلاء الأربعة . . لم يتولوا إلا وزارة الأوقاف . . التي تشرف على الأوقاف الاسلامية وشئون المساجد . . فكان تعيينهم فيها أشبه بالتعيين الطائفي . . ولم يحدث قط أن تولى شيخ أو ذو تعليم اسلامي ولا هؤلاء الأربعة السالف ذكرهم وزارة أخرى . . حتى ولا الوزارات التي تصلح الثقافة الاسلامية ممثلها . . كوزارة العدل التي تضم المحاكم الشرعية . . أو وزارة المعارف .

وحتى وزارة الاوقاف التي انشئت عام ١٨٧٨م والغيت عـام ١٨٨٤م ثم أعيدت عام ١٩١٣م . . فإنه على مدار ٤٥ سنة من وجودها إلى عام ١٩٥٣م لم يتولها وزير شيخ إلا هؤلاء الأربعة . . وباقي وزرائها وعددهم (٤٨) وزيرا كانوا مدنيين . . وحتى هؤلاء الأربعة لم يزد مجموع شغلهم لها إلانحواً من سبع سنوات ونصف . . كما أن الشيخان مصطفى عبد الرازق وعلي عبد الرازق لم ترشحهما للوزارة مشيخة الأزهر . . بل تولياها رغما عن مشيخة الأزهر . . فقد كان أقرب إلى جيل المؤسسات الحديثة فكرية واجتماعية . . إذ تلقى الأول قسما من تعليمه في فرنسا . . والثاني في انكلترا . . وسلك كلاهما من الأعمال ما يبعدهما عن مؤسسة الأزهر . . وكانا من ركائز الدعوة للتحديث الفكري بالمعنى الشائع في وقتها . . وكان مركزها ومركز أسرتها في (حزب الأحرار الدستوريين) هو المرشح الأساسي لهما . . « ارجع لكتاب الحياة النيابية والأحزاب في مصر . تأليف جاكوب لاندو ص ١٧١ وترجمة سامي الليثي لتعرف حقيقة هذا الحزب » .

وجملة المدة التي تولياها في الوزارة تبلغ نحوا من ست سنوات ونصف . . أما الشيخ فرج السنهوري فتولى الوزارة شهرا واحدا والشيخ الباقوري عشرة أشهر . .

وبعد ثورة ١٩٥٢ اطَّرَدَ على نحو ما . . تولي ذو تعليم ديني وزارة الأوقاف ووزارة شئون الأزهر حسبما أضيف إلى اسمها . . ولكن لم يجاوزها واحد من هؤلاء

الى غيرها قط . فالاسلام ـ كما أسلفنا ـ لم يعرف سلطة لهذه المؤسسة في تاريخه الطويل . . كاللتي كانت للكنيسة الكاثوليكية في القرون الوسطى فلماذا نـأخذ حلولا لمشاكل ليست موجودة لدينا ؟

أما بالنسبة للأمر الثاني : ـ

فتعني العلمانية لدى دعاتها : أن يقوم التشريع القـانوني والـدستوري في المجتمع والدولة على أساس غيـر ديني . . ويشمل ذلك كل مجالات التشريع بما فيها الأحوال الشخصية للفرد والعائلة من زواج وطلاق ونفقات وما يتفرع من ذلك ويعود إليه .

وثمة سمة أخرى للدولة العلمانية متفرعة عن هذا الجانب التشريعي وهي أن القيم والأخلاق الدينية لا تعود موضع اعتبار واحترام من وجهة النظر الحقيقية للدولة . . وإذا كانت أجهزة الحكم في بعض الحالات تتظاهر بالغيرة . . فذلك فقط لاسكـات الرأي العـام إذا كانت لاتـزال لديـه بقية من الاحسـاس بالقيم والأخلاق الدينية .

ونقول : ـ

إذا ثار المصلحون وعامة النـاس على الـدين المحرف وعـلى رجال الـدين المسيحي الذين أكلوا أموال الناس بالباطل وباسم الدين وطالبوا الكنيسة أن تلتزم حدودها المعروفة عـلى عهد المسيـح ـ عليه السـلام ـ من تهذيب أخـلاق الناس فحسب . . وتطبيق مفهوم تعاليم الانجيل (بترك ما لقيصر لقيصر ومالله لله . .) إلا أن هذا الأمر لاينطبق ـ كما أسلفنا ـ بحال على الاسلام . . لأن الاسلام جاء منظما لجميع شئون الحياة . . وليس علماء الاسلام في الدولة الاسلامية إلا فئة اختصت ببعض الـدراسات الـدينية لهم مـا لـلأمـة . . وعليهم مـا عليهـا . . ولايفضلون أي فرد إلا بالعلم والتقوى . .

وقد علق الامام محمد الخضر حسين ـ شيخ الجامع الأزهر ـ على مطالب بعض الببغاوات المرددين للفكر الغربي بقوله :

(إن الذين يدعون إلى فصل الدين عن السياسة فريقان : فريق يعترفون بأن للدين أحكاما تتصل بالقضاء والسياسة . . ولكنهم ينكرون أن تكون هذه الأحكام كافلة بالمصالح . . آخذة بالسياسة إلى أحسن العواقب . . ولم يبال هؤلاء أن يجهروا بالطعن في أحكام الدين وأصوله . .وقبلوا أن يسميهم المسلمون بالملاحدة .

ورأي فريق آخر أن الاعتراف بأن في الدين أصولا قضائية وأخرى سياسية ثم الطعن في صلاحها ايذان بالانفصال عن الدين وإذا دعا المنفصل عن الدين إلى فصل الدين عن السياسة كان قصده مفضوحا وسعيه خائبا . . فاخترع هؤلاء طريقا حسبوه أقرب إلى اتجاههم وهو أن يدعوا أن الاسلام توحيد وعبادات . . ويجحدوا أن يكون في حقائقه ماله مدخل في القضاء والسياسة . . هذان مسلكان لمن ينادي بفصل الدين عن السياسة . .) وفي معرض رده على اولئك المضللين من دعاة فصل الدين عن الدولة يقول : ـ

(وفي القرآن أحكام كثيرة ليست من التوحيد ولا من العبادات كأحكام البيع والربا والرهن والدين والإشهاد وأحكام الزواج والطلاق واللعان والظِّهار والحجر على الأيتام والوصايا والمواريث وأحكام القصاص والدية وقطع يد السارق وجلد الزاني وقاذف المحصنات . . وجزاء الساعي في الأرض فسادا . . بل في القرآن آيات حربية . . و . . وهذا يدلك على أن من يدعو إلى فصل الدين عن السياسة إنما تصور دينا آخر فسماه الاسلام . .) وفي نهاية مقاله يبين فضيلته حقيقة الداعين للعلمانية في بلاد المسلمين بقوله : ـ

(فصل الدين عن السياسة هدم لمعظم حقائق الدين . . ولايقدم عليه المسلمون إلا بعد أن يكونوا غير مسلمين) ا . هـ . إذن . .فحقيقة الدولة العلمانية

وجوهرها تقومان على أن تكون شرعية السلطة السياسية فيها مستمدة من الشعب . . ومن ثم فإن هذه السلطة لا تستمد شرعيتها من الدين . . وأن يكون تشريعها قائما على أسس غير دينية .

وهذا يعني : أنه بدلا من أن يعود الناس أو السلطة الحاكمة في شأن وضع القوانين والشرائع المنظمة للمجتمع والدولة الى الدين . . يستوحون من مبادئه احكامهم وشرائعهم ونظمهم . . فإنهم يرجعون في هذا الشأن إلى عقولهم . . أو عقول طائفة منهم . . وما تراه هذه العقول ملائما لمصالحهم بحسب ادراكها لهذه المصالح . . الآنية والمستقبلية . . فيشرعون لأنفسهم على ضوء ادراكهم هذا . . وقد بينا في الصفحات الأولى من هذا البحث عدم مقدرة العقل على ذلك . . لأن العقل قد يضل ويزل . . وقد يرى حسنا ما ليس بالحسن . . فلابد له من هاد وحاكم وهو الشرع . .

٢ ــ ومن شر وسائل الخداع والتمويه والتلبيس التي استعملت لايجاد المناخ الذهني والنفسي الملائم لغرس العلمانية في المجتمع الاسلامي . . ترويج المفهوم الغربي المادي للدين . . وهو المفهوم الذي يعتبر الدين شأنا شخصيا كشئون الانسان الأخرى الروحية والنفسية والعقلية . . ولا شأن له ولا علاقة بالحياة ونظمها . . والمجتمع وعلاقاته فادخلوا في أسس الثقافة الجديدة للمسلمين مفهوم . . دين ودنيا . . وإذا كان الدين حسب مفهومه الغربي المادي شأنا شخصيا ذاتيا بحتا لا شأن له بالحياة والمجتمع فإن (الدنيا) تنظم خارج اطار الدين ونظمه وتعاليمه تنظم بالعلمانية . .

وهذا المفهوم مضاد للمفهوم الثقافي الاسلامي في هذه المسألة فالدنيا حسب المفهوم الاسلامي لا تقابل الدين . . وإنما تقابل الآخرة . . فيقال : دنيا وآخرة . . والدين ينظم حركة الانسان في الدنيا ليتحقق له المصير الحسن في الآخرة . . والدنيا في الاسلام مزرعة الآخرة .

٣ ــ ومن حججهم الرئيسية أيضا قولهم : أن هناك طوائف دينية تعيش معنا في الوطن . فتعصب الدولة لدين معين كالاسلام مثلا . . يضر بمصلحة الطوائف الأخرى . . فالعلمانية تبدو في ظاهرها صيغة محايدة . . لانها تستبعد كلا من الاسلام أو المسيحية أو اليهودية عن شئون الدنيا . . وتقيم النظم على أساس لايمت لها بصلة ولكن استبعاد الدين عن تنظيم المجتمع لاينتقص من المسيحية واليهودية كعقيدة بينما هو ينتقص من الاسلام بعض جوهره . . ـ كما ألمحنا فيما سلف فتحكيم العلمانية هنا . . من شأنه أن يسفر عما أسفر عنه التحكيم الشهير للأشعري وابن العاص . . ـ على حد قول الأستاذ طارق البشري ـ ثم أن الطوائف غير الاسلامية . . واليهودية بالذات . . عاشوا أزهى عصورهم في الدولة الاسلامية العربية . . فكان منهم الوزراء وأرباب المناصب العالية حتى كان المسلمون في مصر يقسمون بهذه العبارة :

(وحق النعمة على بني اسرائيل) . .

وهذا ما حدا بالشاعر أن يقول في اليهود : ـ

يهود هذا الزمان قد بلغوا
غاية آمالهم وقد ملكوا
العز فيهم والمال عندهم
ومنهم المستشار والملك
يا أهل مصر إني قد نصحت لكمَ
تهودوا فقد تهود الفلك

وقال غيره ـ وهو الشاعر ابن الخلال ـ في النصارى الذين ضايقوا المسلمين في أرزاقهم وتولوا أمر الكتابة في الدواوين . . هذه الأبيات التي تبين المكانة التي وصل إليها النصارى في ديار المسلمين :

إذا حكم النصارى في الفروج
وغالوا بالبغال وبالسروج
وذلت دولة الاسلام طرا
وصار الأمر في أيدي العلوج
فقل للأعور الدجال هذا
زمانك ان عزمت على الخروج

وقال ـ ابن الحاج ـ في النصارى واليهود الذي احتكروا الوظائف المالية والطبية في الدولة الاسلامية الأبيات التالية : ـ

لعن النصارى واليهود فإنهم
بلغوا بمكرهم بنا الآمالا
خرجوا أطباء وحُسّاباً لكي
يتقسموا الأرواح الأموالا

فالطوائف غير الاسلامية عاشت أزهى عصورها في دولة المسلمين إذ كانت معظم المناصب الرئيسية في أيديهم .

فالاسلام لم يضر بمصلحة الطوائف غير الاسلامية في المجتمع الاسلامي والاسلام الذي حكم بلادنا طيلة ثلاثة عشر قرنا لو كان يضطهد الاقليات الدينية . . أو كان يقيم محاكم تفتيش . . لما بقي في بلادنا مسيحيا أو يهوديا واحدا . .

إذن فالهدف الحقيقي من المناداة بهذه الفكرة . . فكرة العلمانية هو فصل الدين عن الدولة في بلاد الاسلام . . بعد أن تم فصله في الدولة المسيحية . . لابعاد الدين الذي هو بمثابة حجر عثرة في سبيل أبناء الأقليات الدينية في المجتمع الاسلامي والذي يحول دون تحقيق ما يحلمون به من أهداف . . لذلك تضافرت جهود

النصارى والماسونيين على اختلاف اتجاهاتهم وانتهاءاتهم الحزبية من قومية وأممية . . وأخذوا يطالبون بعلمانية الدولة تمهيدا لعلمانية المجتمع . . وغير متسغرب منهم ذلك . . إذ ليست عندهم عقائد ثابتة يحرصون عليها . . وأهم شيء عندهم هو أبعاد المسلمين عن دينهم وتصوراتهم . . ليصبحوا حيارى لا دليل لهم . . عليهم من ثياب الذل ألوان . .

وبعد :

بقيت لنا كلمة أخيرة نهمس بها فية أذن المنادين بالعلمانية في عالمنا العربي . . هل نجحت العلمانية في تركيا . . وهل أصبح المواطن التركي بعد حوالي نصف قرن من فرض اتاتورك للعلمنة علمانيا . . وهل تغيرت نظرته إلى اليوناني والأرمني . . هل زال التخلف الروحي والثقافي والحضاري من تركيا بمجرد ترجمة القانون المدني السويسري والقانون التجاري الفرنسي . . إلى اللغة التركية . . وتطبيقهما ضمن التراب التركي . .

وهل ازالت العلمانية الخلاف بين الكاثوليك والبروتستنت في ايرلندا وكويبك وغيرهما في المناطق الساخنة في العالم الأوروبي . . وهل أفلحت العلمانية في تقريب الفجوة بين السيخ والهندوس والمسلمين وبقية الطوائف في الهند . . وهل انتشلتها من وهدة الجوع والفاقة . .

إن البلاد التي طبقت العلمانية منذ فترة طويلة في أوروبا وأمريكا نجد الانسان المعاصر فيها يعيش في أزمة نفسية حادة بلغت إلى أقصى حد من التوتر والقلق . . وأصبح يشعر بالضياع والضآلة ازاء هذا التقدم العلمي والتكنولوجي السريع . ولم يعد يدري تماما اين المصير . . والأخطر من ذلك أن هذا الاختلاف الواضح بين التقدم في الميدان التكنولوجي وبين الركود والتقدم البطيء في ميدان القيم والوعي الديني الصحيح قد تسرب أثره إلى الجامعة ومراكز البحث . .

فالانسان الأوروبي المعاصر . . في حالة فكرية مـريضة بـداء : الغربـة والغثيان والعبث والتمرد واللامعقول والمادية . .

وليست حركات الشباب المتمرد على المجتمع وقيمه ومُثله الدينية كجماعة الهيبز والجِمْلَر والتافهين وغيرهم الا تعبيرا عن هذه الحالة . . . فأصبحت غالبية المجتمعـات الأوروبية مستنقعـات بشريـة وأوحال انسـانية . . لا تحيـا فيها الا الشهوات الرخيصة . . واللذات الجسدية الفانية والنزعات الجنسية الهابطة . . . هل هذه حضارة . . هل هي معرفة . . كلا . . بل أنها عذاب في الدنيا . . قبل عذاب الآخر . . ان ما يمر بـه الغرب الآن تفسـير لقولـه تعالى : ﴿ **نسـوا الله فانساهم أنفسهم** ﴾ وقد تنبأ كثير من المفكرين أمثال (توينبى) و (كولن ويلسون) بسقوط هذه الحضارة . . بل كتب احدهم كتابا اسماه (سقوط الحضارة) ثم أننا نجد الكثير من كبـار مفكريهم البـاحثين عن السعـادة . . يتوصلوا بعـد دراسة جادة . . إلى الاسلام . . . فيقبلوا على المنهج الإسلامي للحياة . . ويـرون فيه منجاة من كل ما يعانونه من عذاب نفسي . . ويعيشون فيه من خوف وخطر . لذلك رأى دهاقنة الاستعمار في الإسلام خطراً على مصير زعاماتهم وحضارتهم . . فحركوا ذيولهم لتقويض أركانه . . والقضاء على اتباعه ودعاته ومراكزه . . خاصة بعد إقبال الشباب المسلم في العالم الإسلامي على الالتزام بتعاليم الإسلام . . ذلك أنهم تـوجسوا خيفـة من مستقبلهم في هـذه الـدول التي استيقظ فيهـا الشبـاب المسلم . . وبدءوا يحسبون للاسلام كـل حساب . . ولقـد كان ذلـك أخطر في عيونهم من أي تيقظ ديني في الغرب وبلدانه . . حيث لا يصيبهم ضرر بما اذا عَمَّ هذا الوعي هناك . لذلـك فإنهم لايبـالون بـالمجهودات الـدعويـة التي تبذل في عواصم الغرب . كما يقلقون للصحوة الدينيـة في دول العالم الاسـلامي . نظراً إلى ما يرتبط بها من مصالحهم السياسية والاقتصادية والحضارية كذلك . . واعتقادا منهم في أن أرض الغرب قد نَبَتْ بتلك المصالح . . ولم تعد صالحة للنمو والازدهار

بحكم الطبيعة الفكرية السائدة . . ومن هنا كان للغـرب واعوانـه . . صولات وجولات في العالم الاسلامي بكامله . . فـظهر في جميـع أجزائـه وبلدانه بـوجه كالح . . يزرع بذور الخلاف والحقد في نفوس الناس . . ويثير الفتن والمشاغبات بين طبقات المسلمين وطوائفهم . . لأن الفرقة والانشقـاق هما الـطريق الوحيـد للتوصل إلى الغرض المطلوب . . وهو ان لا يستطيع الدين من القيام بدوره في المجتمعات الاسلامية . . ولم يقتصروا في حَشْر طاقة الدين وأثـره في نطاق ضيق محدود . . بكل ما أمكنهم من قوة الوسائل السريعة النفوذ . . بل حشدوا جمـع طاقاتهم وإمكاناتهم لتغـير مفاهيم الـدين واثارة الشكـوك في اصالتـه . . وزرع الشبهات في نفوس أفراده حول صلاحية للبقاء والعمل في هذا العصر . . المتفوق في علومه التجريبية وصناعته المدهشة وتقنيته السريعة التي غـطت جميع منـاحي الحيـاة . ثم شغلوا المسلمين في كـل بلد بمشكلات سيـاسية واجتمـاعية كثيـرة وجعلوهم من العجز والتخلف بحيث لا يستطيعون منه ان يرفعوا رؤوسهم إلى عمل بناء فضلا عن تطلعهم إلى مكانة القيادة العالميـة . . ثم ركزوا عـلى كبت الشخصية الاسلامية . . وطمس معالم الدين البارزة وخصائصه وسماته البينة أكثر من أي شيء آخر . . لأنهم يعلمون عن تجارب عملية . . أن أخصر طريق للقضاء على أمة . . هو قطع علاقاتها عن تاريخها وماضيها . . وفصلها عن خصـائصها وسماتها وتهـوين شأن العقـائد والقيم الايمـانية التي يقـوم عليها بنـاؤها الخلقي والاجتماعي . . . ولكن العودة الملحوظة نحو الدين . . وصحوة شباب الإسلام في معظم دول المسلمين وخارجها . . بعثت يـأساً كبيـراً في نفوس زعـماء الهدم والفساد . . وقد جُنَّ جنونهم آخر الأمر . . فالتجأوا الى اشعال نار الحروب بين الدول الاسلامية الشقيقة . . كما هو مشاهد في الحـرب العراقيـة الايرانيـة التي اهلكت الحرث والنسل . . وكالعدوان الصارخ على افغـانستان وشعبهـا المسلم وكالخلافات بين المسلمين في الشمال الافريقي . . وما قصة صبرا وشاتيلا الغارقة في الدماء والاشلاء ببعيدة . . وما خبر حمامات الدم البريء في مخيمات لبنان بخاف

على احد . . . إلى غير ذلك من الحقائق الصارخة التي يشاهدها كل من له عينان . . ولا يصعب عليه ان يدرك النوايا التي تختفي وراءها . . وماذاك كله الا لأن الاسلام طفق يخرج من زاوية الخمول . . واخذ يتطلع الى منصة القيادة العالمية . . ويتحدى القيادات المادية والفلسفات العالمية أن تأتي بمواصفات السعادة الحقيقية للانسان ، في هذا العالم الحديث . . كالتي يأتي بها الاسلام . . والتي لن يجدوها إلا في الإسلام . .

ويوم يكتشف الوعي الإنساني حاجته إلى المواءمة بين تقدمه المادي والروحي . . سيجد الإسلام في انتظاره . . يمنحه حضارة المادة . . وحضارة الروح . . ويهديه إلى سواء السبيل . وعلينا أن نتذكر أن دورنا مع حركة التاريخ وصُنع الحضارة لا يزال قائما . . وإننا أغنياء جداً بما لدينا من تراث . . لا نحتاج إلى جيف الشعارت التي يأتينا بها المهزومون فكريا من أبناء أمتنا . . غير أن ذلك لا يمنعنا ان نفيد من كل فرص التقدم النظيف دون ان نسلم رقابنا للأغلال . . وديننا للضياع وروحايتنا للجفاف . . وعلينا أن نؤمن بأن الاسلام الذي نحمل لواءه لم ينته ولن ينتهي دوره في ترشيد الحياة وهداية البشر . . كما لن تنتهي حاجة البشرية له . . كما وعلينا أن نعمق ايماننا بان الاسلام : دين ودولة . . حق وقوة . . ثقافة وحضارة . . عبادة وسياسة . . ولعل ما أوردناه في هذه العجالة ما يردع الجاهلين ويخجل المتشككين . . والله متم نوره ولو كره الكافرون .

اعداد / سامي عطا حسن
سنة ثانية دراسات عليا
بكلية اصول الدين / الازهر الشريف

الأربعاء ١٠ رمضان ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥/٥/٢٩ م

مراجـــع البحـــث

١ ـ صحيح البخاري .

٢ ـ اظهار الحق ـ رحمت الله الهندي ـ تحقيق / الدكتور احمد حجازي السقا .

٣ ـ الإسلام يتحدى ـ وحيد الدين خان ترجمة طفر الاسلام خان .

٤ ـ اسرائيل حرفت الأناجيل والأسفار المقدسة / أحمد عبد الوهاب .

٥ ـ الرد على ابن النغريلة اليهودي ـ الامام ابن حزم الاندلسي .

٦ ـ الفصل في الملل والأهواء والنحل الامام ابن حزم الأندلسي .

٧ ـ الإسلام والعقل الشيخ عبد الحليم محمود .

٨ ـ التفكير الفلسفي في الاسلام الشيخ عبد الحليم محمود .

٩ ـ الاسلام وثقافة الإنسان الأستاذ سميح عاطف الزين .

١٠ ـ الملتقى الإسلامي المسيحي الأول ـ سلسلة الدراسات الإسلامية (١) ١٩٧٦ ـ تونس .

١١ ـ الملتقي الإسلامي المسيحي الثاني ـ سلسلة الدراسات الإسلامية (٦) ١٩٨٠ ـ تونس .

١٢ ـ النصرانية والإسلام ـ المستشار محمد عزت اسماعيل الطهطاوي .

١٣ ـ الوحدانية ـ مع دراسة الأديان والفرق ـ د . بركات عبد الفتاح دويدار .

١٤ ـ القومية العربية والاسلام ـ بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية ـ بيروت ١٩٨١ .

١٥ ـ بين الإسلام والمسيحية ـ ابي عبيدة الخزرجي ت / د. محمد شامة .

١٦ ـ الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية ـ د . عبد المنعم الحفني .

١٧ ـ قاموس الكتاب المقدس ـ جورج بوست .

١٨ ــ شفاء العليل في بيان ما وقع في التوراة والأنجيل من التبديل أبي المعالي أمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني ت ـ الدكتور احمد حجازي السقا .
١٩ ــ محاضرات في النصرانية ـ الأمام محمد أبو زهرة .
٢٠ ــ تهافت العلمانية ـ د . عماد الدين خليل .
٢١ ــ العلمانية ـ محمد مهدي شمس الدين .
٢٢ ــ نحو مجتمع إسلامي ـ سيد قطب .
٢٣ ــ ريح الشرق ـ د . أنور عبد الملك .
٢٤ ـ التبشير الاستعمار ـ د . عمر فروخ + د . مصطفى الخالدي .
٢٥ ــ هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ــ الأمام ابن قيم الجوزيه .
٢٦ ــ كتاب الأنجيل والصليب ـ للأب عبد الأحد داود وكان قسيساً نصرانيا قبل ان يسلم .
٢٧ ــ كتاب الأديان في كفة الميزان ـ للأستاذ محمد فؤاد الهاشمي ـ وكان قسيساً نصرانيا قبل الاسلام .
٢٨ ــ حياة المسيح ـ عباس محمود العقاد .
٢٩ ــ The Brother Hood-Stephen Knight.
وغير ذلك من اليوميات والدوريات المختلفة .
٣٠ ـ هوامش على تعثر الفكر الديني ـ الشيخ محمد حسن آل ياسين

فهرس الموضوعات